# المرايات السبع

اسم الكتاب: المرايات السبع
التأليف: نهاد محمد
نوع العمل: رواية
مراجعة وإخراج فني: سالم عبد المعز سواح (عمرو سواح)
رقم الإيداع: 28239 / 2021
الترقيم الدولي: 978-977-835-277-1
الناشر: دار زحمة كُتَّاب للنشر والتوزيع
١٥ ش السباق – مول المريلاند – مصر الجديدة – مصر

دار زحمة كتاب للنشر
Facebook
Email za7ma.kotab@gmail.com
Tel 002 01205100596
002 01100662595

# المرايات السبع

رواية

## نهاد محمد



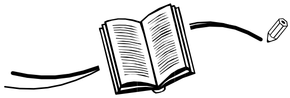
# الإهداء

إلى أَبي الحبيب الذي علمني كيف أطير ولم يقصص جناحي يومًا.

إلى أُمي التي تستوطن فؤادي، التيساندتني في أوقات حزني حين غاب الجميع.. إلى التي تحملتني حين لم يتحملني أحد، إلى مسكني وأماني، إلى من تكون لي كل شيء في هذه الحياة.

إلى أُختي الجميلة صاحبة القلب البريء.. إلى التي أمسكت بيدي حين سقطت وساعدتني على النهوض.

أدامكم الله في حياتي فلولاكم ما كنت هنا.



هناك الكثير من الأمور الخفية التي نجهلها مهما تطور العلم، هناك عالم آخر مجهول بالنسبة لنا لا نعلم عنه إلا القليل.

وتبقى حقيقة الأمر مبهمة، الكثير منا يقول إنها خرافات لا وجود لها، ولكن تلك أكاذيب صدقناها حتى نعيش أسوياء.........

إذا كنت من محبي القراءة فانتبه جيدًا فمن الممكن أن تكون القراءة هي السيف القاطع لرأسك!

هناك كتب قراءتها هلاك كما أن هناك كتبًا قراءتها حياة فانتبه جيدًا عزيزي القارئ.

هناك عشق من نوعٍ آخر، عشقٌ لم يُكتب عنه يوما أو ربما هو وهم عاشه البعض حتى وافتهم المنية.

في مكانٍ ما حيث تحدث العجائب وهناك الكثير من الأشياء المخبأة.. أسير وحدي في عتمة الليل، ظلام دامس يعم المكان.. تتساقط أوراق الأشجار فتمتلئ الأرض بها.

حولي نسمات من الهواء تخالط وجهي، أسمع عواء الذئاب في كل مكان حولي.

يعتليني البرد فينكمش كل جزء من جسدي على الآخر من قسوة البرودة.. تتراقص أجفاني معلنة السقوط.. يختل توازني بين الحين والآخر، هناك شيء بداخلي يحدّثني أن لا أستسلم..

بداخلي شعورٌ مختلط من الخوف والجرأة، أحاول أن أبث في نفسي الطمأنينة فتجرني قدماي إلى المجهول.

أسير وأسير فتتعثر قدمي بحجر وضيع.. فأسقط هاويًا إلى الأرض وتغمض عيناي لدقائق من الزمن فتجرني الذاكرة كما يجر المتهم الذي صدر عليه حكم الإعدام منذ قليل.. إلى قبل عدة أيام....

فأجد نفسي في غرفتي مرة أخرى.....

أنظم حقيبة السفر الخاصة بي وأضع فيها كل ما يمكن أن أحتاجه لأشهر.

تراقب أعيني تلك الغرفة التي قضيت فيها قرابة الثلاثين عامًا.. أتفحص كل جزء منها بعناية شديدة كما لو أنها أم تتفحص ابنها الشهيد بلهفة وفي قلبها آلام العالم كلها.

وها هي أعيني تأخذني إلى تلك النافذة التي كانت سببًا في إعطائي كل سعادة العالم وانتشالها مني مرة واحدة كما يسرق الطفل من حضن أمه..... ولأول مره تغلبني فيها قدمي فأجدها تتجه نحو تلك النافذة التي ظلت لسنوات مغلقة لم تتجرأ يدي يومًا أن تفتحها.... ها أنا من جديد أفتحها ولكن تلك المرة بشعور مختلف.. لسنوات من العمر كانت أوردة قلبي تتراقص فرحًا وأنا أقف أمام تلك النافذة وتهيم نظراتي عشقًا.. أما الآن فذلك القلب نفسه يعتصر من الألم تنقبض شراينه كما لو أنها لحظة خروج الروح من الجسد فحتى بعد مرور كل تلك السنوات ما زال الألم كما هو.. لم يتغير حتى ولو بقدر نطفة.

فأستيقظ من شرودي على صوت الرجل الذي طوال عمره، كان منقذي -وحتى اليوم- وإن كان بغير قصد منه فهو منقذي من تلك الدموع التي كانت على وشك السقوط.

- آسر..

- نعم يا جدو... خير؟

- أنت بتستهبل؟ بقالك يومين حابس نفسك ما بتخرجش من أوضتك ولا حتى بتنزل شغلك.. ولا بترد على أصحابك ممكن أعرف فيه إيه؟ أنتَ عمرك ما كنت كده.

- ياسين شاهين..

- ياسين شاهين؟! ما له الزفت دا يا آسر؟ إيه اللي حصل تاني؟

- بيتحداني يا جدو؛ فاكرني بخرّف مش قادر يصدق.. أنا مش مجنون أنتَ أكتر واحد عارف ده.... ليه مش قادرين تصدقوا إن كل حاجة بقولها حقيقة فعلًا.. أنا متأكد من كل كلمة بقولها لازم تقتنعوا وأنا عارف إزاي هتقتنعوا.. شهور بحلم نفس الحلم وما لوش أي تفسير نفس الست اللي بتظهرلي وكل مرة تقول لي إني لازم أروح المرايات السبع، الاسم غريب بحثت عنه في كل مواقع الإنترنت، في الكتب اللي بقرأها في كل مكان ملقتش ليه أي تفسير!..... والأكيد إن الحلم دا مش هلاوس! في حاجة أنا لازم أعرفها ومش هرتاح إلا لما أعرفها وأثبت لكل الناس إني مش مجنون، أنا خلاص قررت يا جدو بس خلي بالك من نفسك، الحاجة الوحيدة اللي خايف منها إني أسيبك لوحدك سامحني يا جدو لازم أعمل كده، لازم أثبت لكل الناس وأولهم أنت يا جدو، أنا متأكد إن في حاجة ورا الحلم اللي كل شوية أحلمه دا ومش لاقي ليه أي تفسير..

- آسر، أنا خايف عليك.. ياما قلت لك بلاش الكتب اللي بتقرأها دي، بتقضي وقتك كله بتقرأ في كتب غريبة وملهاش أي علاقة بالواقع.

- الكتب دي فيها ألغاز كتير يا جدو إحنا منعرفهاش بس الحلم أكيد ما لوش علاقة بالكتب... الحلم عجيب والست اللي بتظهر لي أعجب وشعوري بعد ما أصحى من الحلم على طول بيكون شعور غريب..

- بس أنت مش شاغلك الحلم يا آسر زي ما أنت بتقول كده؛ أنت عاوز تهرب من الحب اللي مقدرتش تنساه بعد كل السنين دي... سنين وأنا شايفك قدامي حزين كل يوم عن يوم بتدبل أكتر ما بقتش بشوفك بتضحك، كل وقتك مقضيه في الشغل أو في قراءة الكتب دي..... بلاش يا آسر أنا كبرت خلاص يا حبيبي وساعاتي بقت معدودة نفسي أطّمن عليك معرفش إذا كنت هقدر أشوف عيالك ولا لأ... علشان خاطري انسَ كل حاجة وحاول تبدأ من جديد كفاية اللي فات من عمرك يا حبيب جدك، ابدأ تاني اعشق من تاني، إحنا اتخلقنا علشان نعيش مش علشان ندفن نفسنا بالحيا.. متخليش صدمة في حياتك تموّتك.. لو بصيت على اللي ضاع منك وفضلت عايش على ذكراه عمرك ما هتشوف الحلو اللي مستنيك الدنيا فيها حاجات كتير تتحَب متضيعهاش.....

- مش هتفرق يا جدو خلاص فات الآوان، أنا آسف يا جدو أنا عارف إني بظلمك معايا بس أنا مش قادر أعيش كدا.. سيبني أمشي ورا الحلم دا وأشوف حقيقته يمكن يكون سبب إني أنسى كل حاجة وأبدأ فعلًا من جديد وأوعدك إني هرجع.... أنا قررت خلاص وجهزت شنطتي وكل حاجة.

- طول عمرك دماغك ناشفة زي أبوك يا ما كنت بقوله كتير وفي الآخر برضو مبيعملش غير اللي في دماغه فلو دا هيريحك يا آسر اعمله أنا أهم حاجة عندي راحتك..... خلي بالك من نفسك يا حبيب جدك.

- ثق فيّا يا جدو أنا خلاص همشي دلوقتي طيارتي فاضل عليها ساعتين مش هوصّيك يا جدو تاخد أدويتك في معادها.. أنا ظبطتلك المنبه على الوقت، وجبتلك العلاج اللي يكفيك للمدة اللي ممكن أغيب فيها، سلام يا جدو وأوعدك إني هرجع.

- سلام يا آسر في أمان الله.

*****

**التاسع عشر من شهر سبتمبر عام ٢٠١٠**

**الساعة السابعة مساءً بتوقيت القاهرة.**

يأتي صوت مضيفة الطيران معلنًا عن إقلاع الطائرة...

"برجاء الانتباه أيها السادة الركاب سوف تقلع الطائرة بعد خمس دقائق برجاء التأكد من ربط أحزمة الأمان جيدا".

تأكدت من ربط حزام الأمان جيدًا، بجانبي رجل أظن أنه لا يتجاوز عقده الخامس، فهممت أنا بالحديث معه أولًا بما أن الرحلة ستستمر للعديد من الساعات حتى نصل إلى ألمانيا.

مددت يدي للتعرف عليه ثم تحدثت:

- أنا آسر.....

- وأنا قاسم...

- تشرفت بحضرتك جدًّا، أنا قلت الرحلة طويلة فلازم يكون بينّا أي حوار لو مش هيمانع حضرتك طبعًا.

- لا طبعًا دا يشرفني يا آسر.

تبادلنا الحديث معًا وعلمت منه أنها لم تكن المرة الأولى التي يغادر فيها القاهرة بل إنه يغادر كثيرًا بحكم عمله في ألمانيا وفي واقع الأمر قد أفادني كثيرًا وأدلني على بعض الأماكن التي يمكن أن أقضي الليلة فيها وأخذنا الحديث أيضًا إلى زوجتيه الاثنتين فلقد تزوج واحدة منهما بتدبيرٍ من أهله ثم بعد ذلك تزوج الأخرى عن حب كواقع معظم الرجال وها قد أرضى جميع الأطراف حتى نفسه.

كان يتحدث بكل ثقة عن زوجتيه وكم يقدمان له من الحب ويعتنيان به.. كنت أنظر إليه خلسة بين الحين والآخر وأنظر إلى جسده البدين وشعره المجعد لم يكن أبدًا على قدر من الجمال أو الجاذبية... فعجبًا لهؤلاء النساء فمن ترضى على نفسها أن تكون زوجة لرجل على امرأةٍ أخرى؟! كيف لها القبول أن تشاركها امرأة أخرى في زوجها حتى ولو كان زوجها يشبه القرد ألا يعتليهما شعور الغيرة أبدا! فالزوجة الأولى يمكن أن نلتمس لها بعض الأعذار لأنها في أغلب الأحيان تكون مغلوبةً على أمرها. أما الثانية فما وضعها؟! في حقيقة الأمر أنا كرجل أتعجب من هذا الأمر، أو لأنه طبع الرجال التملك، الغيرة، التسلط!

..................

وبعد عدة ساعات من الأحاديث والنوم ها قد هبطت الطائرة إلى بلدة لم أعتقد يومًا أنني سأزورها برغم عملي كمهندس ولكن كان السفر بعيدًا كل البعد عن تفكيري. فمثل تفكير معظم الشباب كانت أحلامي كلها تتمثل في أن أتزوج مَن أحب وأنجب منها أطفالًا يشبهونني ويشبهونها، أن أنجح في عملي، أوفر لأسرتي المعيشة التي تناسبهم......... ولكن دائمًا ما يكون للقدر رأي آخر!

*****

شعور بالغرابة يسيطر على قلبي، إحساسٌ بفقد الأمان في بلدةٍ تختلف فيها الثقافات والديانات عن موطني الحبيب.

كان لا بد لي أن أستريح قليلًا قبل بداية الرحلة المجهولة، كنت أتقن العديد من اللغات منها اللغة الألمانية وذلك لشغفي على قراءة الكتب من بُلدان مختلفة مما ساعدني كثيرًا في رحلتي ولم تكن أمامي أي عقبة في أن أتعامل مع سكان تلك البلدة.......

أوقفت إحدى سيارات الأجرة واتجهت نحو أحد الفنادق التي رشحها لي السيد قاسم.

..................

فور وصولي ذهبت إلى إحدى الفتيات العاملات بالفندق لطلب غرفة منها، وحقيقة الأمر أن الفتاة كانت تمتلك من الجمال قدرًا كبيرًا.. ليس هي فقط بل كل الفتيات اللاتي رأيتهن حتى الآن كنّ يشبهنها في الجمال ورغم ذلك لم تجذبني حتى واحدة منهن.. لم تعتلني حتى رغبة التقارب من أيٍّ منهن.. من المعروف أن الرجل مهما كان قوته يمكن أن تحرك غرائزه المرأة الجميلة ولكنني كنت قد فقدت حتى تلك المشاعر الطائشة قبل سنوات.. ظالمون من يصفون جميع الرجال بالخيانة، حقًّا ظالمون.. فهناك رجالٌ حتى بعد الفراق يظلون أسيرين لعشقهم!

وها أنا واحد منهم، فهل يا ترى سأتحرر يومًا ما؟!

- "هل يمكنكِ إعطائي غرفة لليلة واحدة من فضلك؟"

كان هذه طلبي من تلك الفتاة التي سرعان ما أتاني ردها:

- حسنًا سيدي برجاء الانتظار قليلًا.

- حسنًا أشكرك.

وبعد بضع من الثواني كنت قد أخذت مفتاح غرفتي وصعدت مع أحد العاملين ليدلني عليها، كانت الغرفة رائعة والأهم أن بها إحدى النوافذ التي تدخل منها الرياح مضيفة معها بهجة إلى روحك.

وضعت حقيبتي بجانب السرير بعد أن أخذت منها أحد الملابس المريحة لأرتديها بعد الاستحمام.

وها أنا الآن قابع على الأريكة أفكر فيما يجب عليّ فعله بعد ذلك، أخرجت الخريطة من حقيبتي فليس أمامي سواها ليدلني على الطريق وكان مكتوبًا في أولها..........

(جزر هالغين) إحدى الجزر الموجودة بألمانيا، بحثت في بعض مواقع الإنترنت عن طريقة الوصول إليها وبعد أن جمعت المعلومات قررت النوم والاستيقاظ باكرًا لبدء رحلتي.

*****

بعد مضي القليل من الوقت بدأت أشعة الشمس تتسلل من نافذة غرفتي معلنة عن بدء يوم جديد.. تذكرت أنني لم أهاتف جدي منذ أن وصلت؛ حادثته لبعض الوقت واطمأننت على صحته ثم أغلقت معه، ارتديت ملابسي وأديت صلاتي ثم جمعت أشيائي وخرجت لأبدأ رحلتي..

في أثناء خروجي من بوابة الفندق اصطدمت بإحدى الفتيات ووقعت حقيبتها فهممت فورًا بالتقاطها والاعتذار منها ولكن لحظة وقوع عيني على وجهها كانت قد بلغت نبضات قلبي أقصى سرعاتها وهرب الدم من وجهي حتى أكاد أجزم بأن شفاهي أصبحت زرقاء اللون وسرعان ما داهمني لساني ونطق باسمها (مرام!......

لم أتلقَّ منها سوى علامات الاستفهام التي بدت واضحة جيدًا على وجهها، ثم اعتذرت مني سريعًا هي الأخرى وانصرفت من أمامي، كانت لهجة تلك الفتاة أردنية، نعم فأنا أعرف تلك اللهجة تمام المعرفة، ولكن كيف؟! أيعقل أن أراها بعد مرور كل تلك السنين؟

من المؤكد أنها ليست مرام! ولكن كيف يمكن أن تكون تلك الفتاة تشبهها إلى هذا الحد؟!

تمنيت لو أنها كانت هي في تلك اللحظة، تمنيت لو توقف العمر بي حينها، أما زلت تحبها أيها القلب الأحمق، هربت من موطنك متحججًا بحلمٍ أحمق يتردد عليك كل ليلة لكي تستطيع نسيانها بعد كل تلك السنين ولكن لسوء حظك تجد شبيهتها فتذكرك بكل ما قد مضى.

استجمعت نفسي وخرجت من الفندق وامتطيت إحدى الحافلات ثم بعدها سألت أحد المارين وكان هناك رجلٌ في عقده الرابع قال إنه ذاهب إلى مكانٍ قريبٍ منها فأخذني معه، بعد نصف ساعة أنزلني إلى مكانٍ ما ووجهني نحو طريق الجزر، كان عليّ أن أسير ما يقرب من ثلاثة كيلومترات حتى أصل، وبعد قليل كنت قد وصلت إلى مرادي، لا أعلم أي شيء عن تلك الجزر..... وليس هناك من يدلني على أي شيء فقررت أن أواصل سيري علّني أجد شيئًا يدلني.

*****

"أنا مينفعش أستسلم لازم أكمل بس إيه الطريق اللي المفروض أمشي فيه دلوقتى؟ الخريطة! الخريطة هي اللي هتحدد....."

أخرجت الخريطة من حقيبتي وقبل أن أتفحصها كان هناك صوت يأتيني من أحد الأشخاص.

- من أنت يا بني؟

فالتفتّ خلفي لأرى من أين هذا الصوت فإذا بي أرى رجلًا عجوزًا يحمل عكازًا له، وقد شاب جميع شعره.

له لحية بيضاء طويلة، جسده منحنٍ.. يسير ببطءٍ شديد وكأنه قد بلغ المائة عام، ولكن هيئته وملابسه غريبة جدًّا كأنه من عالم آخر غير عالمنا.

رددت على سؤاله سريعًا بعد أن استطعت استيعاب الموقف.

- أدعى آسر وأريد الذهاب إلى المرايات السبع.

- المريات السبع؟!... هيا يا فتى عد إلى بلدك وكف عن الهراء...

كان يتحدث وفي عينيه بريق من الدهشة فحاولت التودد إليه فهو كل أملي الآن:

- أرجوك ساعدني لمعرفة الطريق فقط وأعدك أنني لن أستفسر عن أي شيء آخر.

- حدثني أولًا كيف استطعت أن تعلم عن هذا المكان ومن أخبرك عنه يا فتى فذلك مكان سريٌّ لا يعلمه أحد من البشر....

فهمتُ من نبرة صوته أنني لو قصصت عليه كل ما يحدث فبالتأكيد سيدلني على الطريق كان بذلك الرجل شيءٌ غريبٌ وكأنه يعرف عن ما أبحث ولكن لم أود الاستفسار أكثر من ذلك حتى لا أخسر حتى طريقة الوصول إلى المرايات السبع....

- لقد أتتني في المنام امرأة لم تكن هيئتها واضحة جيدًا بالنسبة لي، كل ما أعلمه عنها أنها تسمى أيلن.. أخبرتني عن ذلك المكان ورسمت خريطة توصف لي كيف أسير حتى أصل ولكن عندما استيقظت من نومي حاولت مرارًا أن أتذكر، ولكن لم أستطع إلا تذكر أشياء بسيطة وفي الجهة الخلفية من الخريطة على حسب ما أتذكر كان هناك اسم (جزر هالغين) وكانت تخبرني أن عليّ أن أذهب إلى ذلك المكان مهما كلفني الأمر.

- أيلن؟! هل أنت متأكد أنها تدعى أيلن؟

- نعم متأكد.

أغمض الشيخ عينيه لبعض الوقت، بدا لي وكأنه يتذكر شيئًا ثم بعد قليل تحدث.........

- إذًا فأنت من ستستطيع فعل ذلك.

في تلك المرة لم أستطع منع نفسي عن فهم ما يحدث فغلبني سؤالي...........

- ماذا عليّ أن أفعل؟! أنا لا أفهم شيئًا....وماذا تعرف أنت؟

- لا أستطيع إخبارك عن أي شيء سوى الطريق الذي سيدلك على المرايات السبع ولكن عليك أن تحتفظ بهذا الخاتم جيدًا فسيحميك، انتبه جيدا حتى لا تضِعه يا فتى...

أعطاني الخاتم وكان عبارة عن خاتم شديد السواد له بريقٌ كالألماس..............

أخذت منه الخاتم وارتديته فورًا والغريب في الأمر أنه كان على مقاس إصبعي كأنه صمم لي تحديدًا..

بعد أن انتهيت من تفحص الخاتم عدت لأنصت إلى حديث العجوز باهتمام..........

- "وحتى تصل إلى المريات السبع عليك أن تتخطى ثلاث مراحل إن استطعت تخطيها فاعلم حينها أنك قد وصلت....

المرحلة الأولى تسمى غابة الظلام وبالفعل يملأها الظلام حتى تستطيع تخطيها يا بني يجب أن يكون في قلبك حلها.. وذلك الحل بالتأكيد ستجده عندما تصل إلى الغابة.

المرحله الثانية هي أن عليك اجتياز نهر الماسة، وأما هذا النهر فاسمه لا يدل على حقيقته إطلاقا، حتى تنجح في اجتيازه عليك استخدام عقلك والبحث في عقلك جيدًا عن حله.

المرحلة الثالثة تسمى بوابة الشياطين تبعد ثلاثة كيلومترات من نهر الماسة في اتجاه شروق الشمس وحارسها أحد ملوك الجان يسمى القط الأسود أو (ظام) وهو من أعوان الملك ميمون أبانوخ وكان من المتمردين العصاة في عهد سليمان عليه السلام وقد سلسله النبي قبل موته ولكن أحد الأعوان استطاع تحريره لذا عليك أن تنجح في تخطي تلك البوابة وإن استطعت تخطيها فاعلم أنك حينها في بلاد ما وراء الحقيقة أو كما قالت لك المرأة المرايات السبع فالاسمان لنفس البلدة....

ولتستطيع اكتشاف اللغز يا بني عليك المكوث في تلك البلدة شهرين، ليس ذلك فقط بل عليك أيضا أن تصبح من أهل تلك البلدة.. ولكن حياتك ستكون دائمًا معرضة للخطر وعليك أن تحرص على نفسك جيدًا".

- أشكرك كثيرًا أيها الشيخ.. أعدك أنني سأنجح مهما كلفني الأمر وسأعود مرة أخرى لشكرك، إلى اللقاء أيها العجوز.

- في رعاية الرب يا آسر.

بعد أن ودعني ذلك العجوز سقطت الخريطة التي كانت بيدي فانحنيت لآخذها، وبعد أن اعتدلت كان العجوز قد اختفى وكأنه قد أتى من الفراغ!

...............

قررت أن أكمل سيري وبعد أن سرت ما يقرب من الساعتين في الظلام على أمل أن أرى ولو بصيصًا من الأمل يدلني على تلك الغابة التي تسمى غابة الظلام، أرهقني جسدي كثيرًا فقررت أن أستريح حتى الصباح فجلست تحت إحدى الأشجار ونمت في سبات عميق لأستيقظ على أيد ناعمة تتحسس وجهي فإذا بي أرى فتاة ذات ملامح إلى حد ما طفولية وشعر أسود كالحرير يصل إلى أسفل ظهرها، بشرة خمرية.. عيون كعيون الغزال، من شدة بريقها تستطيع أن ترى نفسك فيها، بها شيء يجذبني كأنني لم أرَ امرأةً جميلة من قبل..... كانت الطبول تقرع في قلبي كما يحدث في قلب العاشق عندما يرى معشوقه.......

أخذت أنفاسي تتسارع من شدة قربها فاعتدلت من نومي سريعًا كما لو أنني لدغت من أفعى، حاولت استجماع نفسي مرة أخرى وكان أول ما نطقتُ به...........

- من أنتِ؟!

سمعت أذني صوتًا أنثويًا من شدة نعومته تشعر كما لو أنه صوت طفل، ومن قسوته تشعر كأنك تخاطب رجلًا له هيبته.. كانت تلك المرأة بها كل شيء وعكسه لم يكن صوتها فقط.

- أنا حور.. وأنت ماذا تسمى أيها الفتى؟

- أدعى آسر... آسر عمر الهلالي.

- وماذا أتى بك إلى هنا أيها الفتى؟ ألا تعلم أن هذا المكان خطر ومن الخطأ على أناس مثلك أن يأتوا إلى هنا؟

ابتسمتُ باستهزاء وتحدثت..

- وأنتِ أيتها الطفلة أليس خطأ عليكِ أيضا أن تأتي إلى هنا بمفردكِ أم أنه لقبح وجهكِ لن يمسسكِ سوء أو حتى يستطيع أحد الاقتراب منكِ؟

وكنت أنا أيضا سأصدق ما تفوهت به الآن فكيف لذلك الجمال أن يوصف بالقبح فأكاد أقسم أن عيني لم ترَ هذا الجمال من قبل وكأنها ليست إنسية وكأنها فعلًا حُورِية من عالم آخر غير عالمنا، أو ربما تكون جنية في صورة إنسان!

ولكنها أثارت جدلي فأردت أنا أيضا استفزازها والعبث معها قليلا وعندما نظرت في عينيها رأيت الشرر يتطاير منها وكأنني بعد قليل سأحترق من تلك النظرات حقا، فملامح البراءة التي كانت تعتلي وجهها تحولت إلى ملامح قاسية نارية فتذكرت حديث جدي عندما قال لي ذات مرة....

- لا تنخدع يا بني بما يقوله المجتمع عن المرأة من أنها إنسان مستضعف لا يقدر على المواجهة بل اعلم أن جميع النساء يمتلكن الشجاعة ولكن بعضهن من لديه القدرة على استعمالها وإذا

استعملت إحداهُما تلك الصفة فلن يمنعها أي أحد من تحقيق ما تريد أو حتى أن تثأر لنفسها إذا ما مس أحدٌ كرامتها.

أتاني صوتها كصوت الرعد في السماء الصافية...........

- بماذا تتفوه أيها الفتى؟ من تظن نفسك حتى تتحدث معي هكذا؟ ألم تنظر إلى المرآة يوما لترى قبح وجهك فأنت أشبه بالقرود أيها الأحمق.

( إذا حقًّا ما قاله جدي فإنها من تلك النساء إنها على وشك الفتك بي وقتلي الآن لا مُحال)

ولكن مهلًا! أينتهي عمري على يد تلك الفاتنة فأنا حقا لا أمانع من الموت على أيديها........

استيقظ أيها الأحمق من تلك الأحلام، أأصابتك تلك المرأة بلعنةٍ حتى لا تمانع الموت على أيديها!

كان هذا حديثي لنفسي، وبعد أن استيقظت من شرودي لم أرَها أمامي ولم أري حتى أي أثر لها وكأنني كنت في حلم رائع واستيقظت.. ذهبت لأبحث عنها ولكن دون جدوى وكأن الأرض قد ابتلعتها.......

مَن هذه المرأة التي خضع لها قلبي بعد مرور العديد من السنوات! فقلبي كان أسير عشق انتهى قبل بدايته، فمَن هذه التي استطاعت أن تجعله يخفق بكل تلك الشدة؟!

نفضت رأسي من الأفكار التي تدور به وقررت أن أستمر في رحلتي.

جمعت أشيائي واتجهت إلى الأمام علني أجد أي شيء يساعدني فالخريطة لا تكفي، استمررت في السير دون أي جدوى.. مرت ساعتان وأنا لا أستطيع الوصول إلى شيء يدلني على تلك الغابة هلك جسدي من التعب.. ينتابني بين حين وحين شعور الندم....

..........

جلست على الأرض قليلًا لشرب بعض الماء وبعد ذلك أخرجت من حقيبتي القرآن الكريم.... لقد حرصت وبشدة على أن آخذ كتاب الله معي فمنذ أن كنت أبلغ من العمر عشرة أعوام لم يفارقني هذا المصحف فهو آخر ذكرى من والدي الحبيب رحمة الله عليه..

أتذكر اليوم الذي ختمت فيه حفظ القرآن الكريم.. حين علم أبي كانت السعادة تملؤ وجهه فقد كان حريصًا كل الحرص على أن أحفظ كتاب الله حتى أتممته في عامي العاشر..

كانت السورة المحببة إلى قلبي منذ الصغر هي سورة الجن، كنت أشعر بأشياء غريبة عند قراءتها في كل مرة.

فتحت المصحف بلهفة شديدة وأخذت أقرأ تلك السورة.. لا أعلم كم تكون هذه المرة التي أقرؤها فيها ولكن كل ما أعلمه أنه من المحتم أن هناك شيئًا يربطني بتلك السورة.

بعد أن انتهيت من قراءتها أغلقت المصحف وأعدته في الحقيبة مرة أخرى وقررت مواصلة السير، ثم بعد قليل من الوقت رأيت أمامي مكانًا مظلمًا جدًّا تحوطه الكثير من الأشجار، نظرت إلى السماء فوجدت الشمس تتوسطها إذا لماذا هذا المكان مظلم؟!

أيعقل أن تكون تلك الغابة؟

لوهلة شعرتُ بالخوف وسرت في جسدي قشعريرة ولكن استجمعت شجاعتي مرة أخرى وذهبت لأرى تلك الغابة التي تسمى الغابة المظلمة أو السوداء كما يسمونها سكان ألمانيا..

لقد تنوعت القصص الخيالية حول تلك الغابة المخيفة ونسخ الكثير من الأساطير حول وجود فارس مقطوع الرأس يعيش بداخل تلك الغابة ويختطف النساء من المدن المحيطة.......... فإذا كان هذا الكلام حقيقي فبالتأكيد المعركة لن تكون بالسهولة التي ظننتها.

ظللت أردد آيات من القرآن الكريم حتى تبث بداخلي بعض الشجاعة، واصلت سيري وفجأة سمعت أصوات صراخ! مهلًا وكأنه صوت إحدى النساء، إنها تصرخ بقوة وكأن أحدًا يعذبها وبعد القليل من الثواني وقعت عيني على امرأة تختبئ تحت إحدى الأشجار فذهبت لأرى من تكون.

- من أنتِ؟ ولماذا تصرخين؟!

مرت الدقائق وأنا لا أسمع أي رد، كررت السؤال مرة أخرى.

وبعد مرور القليل من الثواني أتاني ردها..........

- أنا كارولين أرجوك ساعدني سيقتلني حتمًا سيقتلني.

- مهلًا من يريد قتلك؟ لا أفهم ولماذا يريد قتلك؟

- موشيل.. يدعى موشيل إنه الفارس مقطوع الرأس لقد استطعت الهروب منه ولكنه حتمًا سيجدني ويقتلني وبالتأكيد سيقتلك أنت الآخر.

- ماذا أتى بك إلى هنا؟!

- لقد أخطأت عندما أتيت أنا وألين صديقتي.. لقد قتلها أمام عيني، تقول الأساطير إنه يقتل النساء فقط ولكنك قد تخطيت حدود مملكته ومن المحتمل أن تكون أول رجل يقتله، أنا لم أكن أصدق كل هذا الهراء في البداية ولكن ليتني صدقته، فبالتأكيد ما كان سيحدث كل هذا............ ولكن لن ينفع الندم بعد الآن هيًا تعالَ معي عندما نكون معًا بالتأكيد سنكون أقوى.

كان عنق المرأة ينزف بشدة فسألتها بتعجب......

- كيف لعقنك أن يكون مجروحًا هكذا وتغطيه الدماء؟

- لا يهم.... المهم الآن أن نهرب قبل أن يجدنا.

لم أكن أستطيع فعل شيء سوى الإنصات إليها والسير معها كما تريد.

استمررنا في السير حتى وصلنا إلى كوخ وبعد أن دخلنا كان المكان غريبًا جدًّا، تحوطه الدماء من كل اتجاه وكأنه منذ دقائق كانت هناك معركة.......

- علينا أن نمكث هنا إلى أن تأتي الساعة الثانية بعد منتصف الليل...

كان هذا صوت كارولين فسألتها......

- ولماذا الثانية بعد منتصف الليل تحديدًا؟

- لأن موشيل قوته تضعف كل يوم عندما تحين الثانية ليلًا وبالتأكيد هذا الشيء الوحيد الذي بإمكانه أن يساعدنا لنتغلب عليه ونقتله ولكن علينا أولًا أن نجد الطريقة التي ستساعدنا.

- وما هي تلك الطريقة؟

- علينا أن نجد جثته ثم نحرقها، تلك هي الوسيلة الوحيدة لكن عليك أولا أن تستعمل قلبك في البحث عن المكان؛ فقلبك هو الحل الوحيد لدينا لأنك تمتلك حدثًا قويًّا جدًّا.

- قلبي؟!.. وكيف يمكنني استخدام قلبي؟

- أنت تملك شيئًا لا يوجد عند أحد.. عليك فقط أن تسير وراء أحاسيس قلبك وعندها سنعرف إلى أين يجب أن نتجه، ثق في قدرتك على ذلك وستنجح.

جلست على الأريكة الموجودة في أحد جوانب الغرفة فغلبني النعاس....

استيقظت على صوت كارولين وهي تناديني بعد أن مرت بضع الساعات ونحن ننتظر حتى دقت الثانية بعد منتصف الليل، عندها قالت كارولين: هيا حان الوقت للخروج.

كارولين: أولًا سنسير في هذا الاتجاه حتى نصل إلى مفترق من الطرق عليك أن تحدد عندها في أي طريق علينا أن نسير.

- حسنًا سأحاول بقدر استطاعتي.......... هيَّا بنا.

كالعادة لم أعد أفعل شيئًا سوى السير فإن استطعت النجاة والعودة مرة أخرى لمنزلي سأمكث شهورًا على سريري.. يا إلهي!

استمررنا في السير ولكن كنت أرى تلك المرأة غريبة جدًّا كيف لها أن تسير أو حتى أن تقف على قدميها رغم أن جرحها ينزف الكثير من الدماء، إنها حتى لا تتآوه من الألم أيعقل هذا؟!

استيقظت من شرودي على صوتها وهي تناديني.

- لقد وصلنا هيا استرخِ جيدًا وركز إلى أين علينا أن نتجه، ومهما حدث أو سمعت من أصوات لا تعِر لها أي اهتمام.

حاولت أن أسترخي كما قالت؛ أغمضت عيني وحاولت أن أستخدم حدثي ولكنني كنت أفقد السيطرة على نفسي كل مرة مما أسمعه من أصوات غريبة..

مرت عدة دقائق شعرت حينها بشعور غريب يسيطر عليّ وكأن قلبي مرآة لي ثم فتحت عيني مرة أخرى وقررت الاتجاه الذي سنسير فيه......

- حسنًا هيا بنا سنسير إلى اليمين.

- حسنًا ولكن بداية من تلك المرحلة سنكون في خطر شديد يجب أن نتحلى بالشجاعة.

- كن على ثقة أن موشيل إن شعر بخوفنا سيستغل هذا ولن نأخذ في يده ثواني حتى يقتلنا..

حاولت أن أضع تركيزي على شيء آخر عله يلهيني عن أي شعور آخر يمكن أن يتحكم بي......

واصلنا السير وكنت أسمع أصواتًا أعرفها من كل جهة، كانت الأصوات مألوفةً لي بالدرجة التي أستطيع تحديد لمن يعود ذلك الصوت ولكن كانت كارولين تحذرني مهما سمعت من أصوات ألا ألتفت ورائي حتى لا تكون تلك النهاية الحتمية.

- آسر الحقني يا آسر أنت فين يا بني؟

كان هذا صوت جدي نعم إنه صوت جدي علي أن التفت إنه يناديني.

- إياك أن تلتفت يا آسر؛ إنه ليس جدك؛ إنه وهم يريد أن يخدعنا به موشيل، إياك أن تلتفت.

كان هذا صوت كارولين.

- آسر، يا آسر أنا بقالى كتير بدور عليك وحشتني قوي يا بني.. آسر يا حبيبي أنا مش قادر أمشي أكتر من كدا تعالَ امسك إيدي.

لم أستطع السيطرة على نفسي فإنه حقًّا صوت جدي

- عليّ أن ألتفت؛ إنه جدي يا كارولين.

- إياك أن تفعلها.. إياك.

التفت ورائي وإذا بي أرى شيئًا يجرني من ثيابي إلى الوراء ويخنقني بقوة لم أستطع حتى الصراخ فروحي قد أوشكت على الرحيل.. شعور الموت يقترب مني، اللعنة إنه يزيد من اختناقي يا إلهي أرجوك ساعدني.

أغمضت عيني للحظة وقررت الاستسلام، مرت أمامي حياتي كطرف العين، حزني.. سعادتي.. آلامي.. صلاتي.. بكائي، كل الأشياء التي أحبها أو أكرهها ها أنا الآن أتركها وأرحل وحيدًا، كادت أن تكون تلك لحظتي الأخيرة ولكنني فجأةً سمعت صوت جدي وهو يناديني وصوت كارولين وهي تصرخ بي وتقول:

- حاول المقاومة، إياك أن تستسلم له..

ففتحت عيني وحاولت المقاومة، ظللت أردد بعض آيات القرآن التي تذكرتها بكل قوة، وبعد مرور دقيقتين لم أشعر بأي شيء بجانبي، لم أشعر بأي اختناق.

أمسكتني كارولين من يدي وأخذنا نسير بسرعة شديدة كانت تقول لي:

- أسرع علينا أن نصل في أسرع وقت وإياك أن تنظر إلى الوراء مرة ثانية إياك..

سرنا حوالي نصف ساعة حتى وصلنا إلى قمة جبلية تعرف بقمة (فيلدبيرج) وهي قمة يبلغ ارتفاعها حوالي ١٤٩٣ مترًا، عندها توقفتْ كارولين وقالت: لقد وصلنا، علينا أن نسرع لنجد الجثة ونحرقها ليس لدينا الكثير؛ تبقى فقط ٢٠ دقيقة إن لم نفعلها حتمًا سنموت هيا..

يوجد في تلك القمة الجبلية مدخل من الجهة الخلفية، دخلنا من ذلك المدخل وكانت هناك رائحة كريهة جدًّا يكاد الشخص أن يموت من كراهة تلك الرائحة، وهناك العديد من الأبواب ولكن جميعها موحدة لا يختلف أي باب عن الآخر.

- هيا عليك أن تحدد أي باب علينا أن نفتحه..........

هكذا قالت كارولين.... أغمضت عيني وركزت على نبضات قلبي وكأن بشعوري بتلك النبضات سأعرف أي باب عليّ أن أختار، وبعد عدة ثوانٍ وقع اختياري على الباب الثاني، لا أعرف حقا لمَ اخترته ليس لدي تفسير لمَ هذا الباب تحديدًا ولكن كل ما أعرفه أنني في هذه المغامرة لم يعد شيء ينفعني سوى قلبي الأحمق.....

قالت كارولين: حسنًا سندخل ولكن لنأخذ حذرنا أكثر..

فتحت الباب وسرنا بخطوات بطيئة للداخل، كان هناك الكثير من الأشياء العفنة والكثير من الزواحف الميتة، كان المنظر حقًّا مخيفًا........

وقعت عيناي على تابوت موضوع في نهاية الغرفة كان يشبه تلك التوابيت التي نراها في الأفلام الخاصة بالفراعنة، فسألت كارولين عنه:

- ما هذا التابوت أتعرفين عنه شيئًا؟

لم أتلقَّ منها أي رد، كانت تسير تجاهه فحسب دون أي كلمة ولكن ما لاحظته أنه كلما اقتربنا أكثر من التابوت يزداد نزيف عنقها بشكل غير طبيعي............

وصلنا إلى التابوت وتوجهت لفتحه ولكن قبل أن أفتحه إذا بشيء يمسكني من عنقي ويحاول خنقي مرة أخرى، كانت أعيننا مغلقة تماما، حاولت فتحها لأرى ذلك الشيء الذي يمسك بي وبصعوبة فتحتها ورأيت شخصًا دون رأس تماما، وعنقه ينزف الكثير من الدماء وكأن رأسه قد قطع منذ قليل، كل هذا حدث لثوانٍ معدودة، حتى أحسست أنني حتما من قوة إمساكه بي سأموت مقطوع الرأس وليس خنقًا............

- كيف لك أن تتجرأ وتدخل مملكتي بل وتريد أن تحرق جثتي؟ ستموت وتذهب إلى الجحيم كالبقية ولكن قبل أن أقتلك سأريك مشهدًا تمنى الكثير معرفته وستنول أنت الوحيد هذا الشرف أيها الأبله...

كان هذا الصوت للأحمق مقطوع الرأس كان يشبه فحيح الأفعى..........

أغمضت عيني وبعد قليل من الثواني إذا بي أرى أناسًا مجتمعين في مكان واسع جدًّا وفي يد كل شخص سيف، حتى الأطفال يحملون السيوف وأربعة من الأشخاص يجرون خلفهم شخصا مربوطًا بالحبال من كل جهة، وآخرون يهتفون: فليمُت موشيل.. فليمُت موشيل.........

تركت كل هذا وتوجهت تجاه امرأة تضحك باستهزاء وتقول:

- لكل جبار نهايته وها قد أتت نهايتك يا موشيل سيقطع رأسك ألف مرة كما قطعت رؤوس الآلاف من الشباب، والأطفال، وكبار

السن....... سيقطع رأسك بدماء باردة أيها الملك الطاغي ستموت بطريقة مشينة، قلت لك يوما ما ستكون نهايتك وحتمًا تلك النهاية لن ترضيك...

- هيا ابدأوا الآن بمراسم الاحتفال....

كان هذا صوت أحد الرجال وبعدها رأيت تلك المرأة تتوجه إلى موشيل وتأخذ سيفًا من أحد الرجال وتصمم على أن تنول شرف قتله وقبل أن تفتك به تقول: ها قد حان الموعد الذي أخبرتك به.. ها قد حان أن آأخذ بثأر أبنائي الأربعة وزوجي الذين قتلتهم لأنهم أرادوا أن يعاقوبك على جرمك في حقي واغتصابي عُنوةً.. ما زلت أشعر بيديك النجسة تسير على جسدي ما زلت أتذكر كل لحظة أيها الشيطان..........

ثم بعدها ترفع سيفها بقوةٍ لم أرها من قبل حتى في أي رجل وتنزل على رأسه تقطعه فيسقط جسده في جهة ورأسه المقطوع في جهة أخرى...........

(تلك القوة التي اعتلت بالمرأة تثبت للمئات أن النساء إذا قام أحد ما بكسرهن يمكنهن أن يحطمن العالم انتقامًا لما حدث لهن من ظلم)

ثم بعدها بدأ الناس بالاحتفال والرقص....

وبعد الانتهاء من الاحتفالات التي استمرت قرابة ثلاث ساعات.. قام بعض من الموجودين بالذهاب لإلقاء رأسه في الصحراء حتى تنهشه الكلاب والذئاب.

ثم يأتي شخص يأخذ جسده ويمارس عليها طقوس كطقوس السحرة ويأخذ رأسه ويضعه في ذلك التابوت...

إذًا فهذا حقًّا موشيل!!!... فعرفت أنني حتمًا لن أنجو وأنها النهاية واستسلمت لواقعي فأغمضت عيني وبدأت أقرأ بقلبي آية من القرآن..

بِسمِ الله الرَّحمَنِ الرَّحِيم

﴿ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ ١٥ ﴾[١]

ظللت أرددها كثيرًا لقليلٍ من الثواني حتى سقطت على الأرض ثم رأيت أنواعًا من القيود أشبه بقيود الحديد التفت حوله من كل جهة حتى قيدته تماما..

لا أعرف لمَ قرأت تلك الآية تحديدًا ولكنها كانت الآية الوحيدة التي تتردد في ذهني حينها، أتذكر أن أبي كان يرددها كثيرًا في صغري فقد كانت تلك الآية محببة إلى قلبه.. رغم مرور الكثير من السنوات التي كانت كفيلة بأن تجعل الإنسان ينسي معظم تفاصيل طفولته ولكن تلك السنوات لم تكن كفيلة بأن تمحي أبي من ذاكرتي فما زالت كل تفاصيله بداخلي ولكنها محت أعظم شيء فلقد نسيت جميع ملامح أبي حتى أن جدي تخلص من جميع صوره ولم يعطِني ولو صورة واحدة..

---

[١] إبراهيم: ١٥.

كانت حجته الوحيدة أن تلك الصور إن بقيت أمامي ستجعل جرحي أعمق....

نهضت سريعًا وسرت أبحث عن أي شيء يساعدني لحرقه فتذكرت البنزين الذي أحضرته معي أنا وكارولين............ ولكن أين كارولين! فأنا لا أراها في أي مكان!

أخذت البنزين وتوجهت إليه وأشعلت النار به حتى احترق تماما ولم يعد لجسده أي أثر....

ثم بحثت عن كارولين في كل مكان ولم أجد لها أي أثر وتذكرت المعلومات التي تعرفها والنزيف الذي كان ينزف من عنقها والذي يشبه نزيف موشيل وكان يزداد كلما اقتربت منه فعلمت عندها أنها كانت إحدى ضحايا موشيل.

وها قد انتهت أول مرحلة.................

خرجت من قمة (فيلدبيرج) ثم توجهت للخروج من تلك الغابة المظلمة والاستعداد للمرحلة الثانية فمن المؤكد أنها أيضا لن تكون بالهينة **(نهر الماسة)**

****

سرت ببطءٍ وإرهاق شديد في كامل جسدي حتى تذكرت أنني لم أتناول سوى القليل من الطعام منذ يومين، استمررت في السير قرابة الساعتين حتى رأيت أنني أقترب من مكان به ضوء.

كلما سرت أكثر علمت أنني على وشك الخروج من تلك الغابة اللعينة وها قد خرجت منها ورأيت شروق الشمس أخيرًا مرة أخرى.. توجهت نحو إحدى الأشجار وجلست أسفلها أفكر في كل ما يحدث ولم أنتبه إلا عند غروب الشمس وبزوغ القمر فقررت النوم وذهبت في سبات عميق...

نسمات من الهواء تخالط شعري ووجنتي حتى استيقظت لم أستطع أن أعرف عدد الساعات التي قد غفوتها، ولكنني أرى شروق الشمس إذًا من المؤكد أنه اليوم التالي، أيعقل أنني استغرقت كل هذا الوقت في النوم! ولمَ لا فما مررت به وما سأمر به لا يصدقه عقلٌ.

بحثت عن حقيبتي وأخرجت منها أحد الأطعمة التي معي المكونة من خبز وجبن وأحد المشروبات وشرعت في تناول طعامي حتى انتهيت.

ثم بعدها بقليل من الوقت رأيت من بعيدٍ شيئًا يلمع كالألماس وقفت وسرت تجاهه حتى وصلت إليه فرأيت أنه النهر، يا لبراعة جماله لم أرَ مثل هذا الجمال من قبل من شدة لمعانه؛ أرى صورتي بوضوح فيه......... مهلًا! يوجد هناك قارب صغير يمكنني أن أستخدمه لعبور النهر ولكن لمَ قال الشيخ إن مروري عبر النهر لن

يكون سهلًا وإن النهر ليس على حقيقته؟! إذًا فمن المؤكد أن هناك شيئًا يجب أن أعرفه قبل أن أفعل أي شيء، بحثت في كل مكان بجانبي عن أي شيء يمكنه أن يدلني لكن دون جدوى.

سمعت صوتًا مألوفًا لي يأتي من خلفي....... ما هذا الصوت؟ إنه صوت امرأة قد سمعته من قبل.

التفتّ خلفي لأرى من تكون فإذا بها تخطف قلبي مرة أخرى.. تبتسم شفتاي رغمًا عني.

أتاني صوتها ليوقظني من أحلامي الوردية......

- أنتَ مرة أخرى ماذا أتى بك أيضًا إلى هنا، أتتبعني أيها الفتى؟

حاولت التحدث بصوت رجولي به بعض القسوة.

- بل ماذا أتى بكِ أنتِ إلى هنا وكيف تمكنتِ من المجيء وفي المرة الماضية اختفيتِ كلمح البصر بالتأكيد هناك شيء بك عليّ أن أعرفه؟!

- انظر يا فتى، أظن أنك سترهقني معك، ولكن أتعلم أنني أعجبت بك؟ لذلك تلك هدية مني لك.

أعطتني ورقة مكتوب بها بعض الكلمات باللغة الفرعونية والغريب أنه كان يمكنني قراءة وفهم كل ما هو مكتوب....

"حتى يمكنك تخطي نهر الماسة عليك أن تقوم بقطع الشجرة الملعونة من جذورها لتتحرر روح الطفل البريئة.. ابحث عن تلك الشجرة شمال النهر وستجد عليها بعض الإشارات الحمراء"

تلك كانت ترجمة الكلمات... أتذكر أنني لم أتعلم في يوم حتى أن أعرف حرفًا من تلك الحروف الفرعونية كيف استطعت إذًا أن أفهم؟ بل وكيف لتلك المرأة الفاتنة أن تعرف ما أريد فعله.. حتمًا هناك رابط بينها وبين ضالتي، وكالعادة بعد أن انتهيت من قراءة الورقة كانت قد اختفت فاتنتي.

سِرت شمال النهر بحثًا عن تلك الشجرة الملعونة استمررت في السير ساعتين ولكن دون جدوى لا أرى سوى أشجار طبيعية غير ملطخة بأي لون....

رأيت من بعيد فأسًا فتركت حقيبتي على الأرض واتجهت إليها، فمن المؤكد أنه سيساعدني كثيرًا ولكن العجيب أنني عندما اقتربت من الفأس وجدت عليها بعض آثار الدماء الجافة؛ استوقفني هذا كثيرًا من المؤكد أن هناك رابطًا قويًا بين الشجرة والفأس والطفل عليّ أن أعلمه...

تذكرت كلمات الشيخ العجوز عندما قال لي إنه يجب عليّ استخدام عقلي للعبور من نهر الماسة......... ولكن كيف أستخدمه؟

بعد مرور الكثير من الساعات كانت الشمس قد غربت فقررت الاستراحة قليلًا والتكملة غدا.

*****

"من أنت أيها الشاب؟"

كان ذلك الصوت يأتي مباشرة من خلفي.......... التفتّ للوراء فإذا بي أرى امرأة عجوزًا قد ملأ الشيب رأسها ومن كثرة التجاعيد اختفت كل ملامح وجهها يبدو أنها قد تجاوزت المئة عام...

- أنا أدعى "آسر".

- كيف أتيت إلى هنا وما وجهتك؟

- أريد عبور نهر الماسة وقد علمت أن عليّ أن أقطع الشجرة الملعونة حتى يمكنني العبور بسلام.

- ارجع يا بني إلى بلدك فإنه من المستحيل لك أن تفعل ذلك..

هل هناك رابط بين العجوز الذي قابلته في الجزر وبين تلك المرأة!

فنفس طريقة الحديث، نفس العيون، نفس كل شيء.........

حاولت التحدث معها ورجاءها لمساعدتي فليس أمامي سواها................

- لا أستطيع الرجوع فلقد فات الأوان وعليّ إكمال رحلتي أرجوكِ ساعديني بما لديكِ من معلومات...

كان إقناعها ليس بالأمر شديد الصعوبة كما توقعت.

- حسنًا ولكن تذكر أن هذا الأمر صعب جدًّا تعالَ معيّ إلى الكوخ وسأقص عليك كل شيء...

اتجهت خلفها نحو الكوخ، والغريب في الأمر أنني لم أرَ هذا الكوخ في أثناء مروري، دخلت خلفها، الكوخ كان مكونًا من سرير مصنوع من خشب الأشجار موضوع عليه بعض جلود الحيوانات المنسوجة ومقاعد عبارة عن أجزاء من خشب الأشجار في شكل دائرة وطولها لا يتجاوز بضع السنتيمترات والقليل من الأشياء البسيطة التي يستطيع الإنسان بالكاد أن يعيش بها.

جلست على أحد الكراسي وذهبت العجوز لتشعل النيران في بعض الأخشاب اللينة لتنير المكان ثم جلست على حافة السرير وبدأت في سرد قصة الشجرة الملعونة.........

*****

**قبل قرابة الخمسين عامًا.**

كان هذا المكان ملكًا لقبيلتين؛ القبيلة الأولى كانت تسمى (أميران) والقبيلة الثانية (هامين) كان أهلهما يعيشون حياة مستقرة ويتزاوجون فيما بينهم.....

كانت كل قبيلة تتكون من ما لا يزيد عن خمسين شخصًا.. كان في قبيلة هامين ساحرٌ يدعى (كيلان).. كان معروفًا في القبيلتين بقوة سحره وبتعامله مع الشياطين، ومعروف عنه أنه كان يحب امرأة من قبيلة أميران تسمى (أسمهان) وأراد أن يتزوجها وحاول مرارًا... ولكنها كانت ترفض رفضًا قاطعًا في كل مرة.

ثم........ ذات يوم..............

علم أن أسمهان تزوجت من ابن عمها (أيرن) دون علم الجميع وبعد زواجهما أعلنا ذلك أمام القبيلتين، فمن المؤكد أن لا أحد من أي قبيلة يستطيع إيقاف كيلان...

عندما علم كيلان غضب كثيرًا ولكن لم يبدِ أية رد فعل............ استغرب الجميع كثيرًا وبدأ القلق يتسلل عبر قلوبهم ولكن مع مرور الأيام اختفى ذلك القلق تدريجيًّا، لأن كيلان ابتعد عن الجميع وكان يمضي الكثير من أوقاته بعيدًا عن أعين الجميع، فاعتقدوا أنه قد استسلم ولن يفعل شيئًا وبمعرفتهم بأنه سوف يأتي طفلٌ ليتوج هذ الزواج، كان الجميع سعيدًا جدًّا.

مرت الأيام حتى جاء ميعاد الولادة، كانت ولادة أسمهان متعسرة استغرقت بضع ساعات حتى وُلد الطفل.. وكان ذكرًا، وفي يوم الاحتفال بميلاده حدث ما لم يكن في الحسبان؛ تركت أسمهان الطفل في الغرفة وخرجت لاستقبال الأشخاص، استغل كيلان تلك الفرصة وخطف الطفل وأخذه في مكان بعيد، وقام بعمل بعض الأسحار عليه وقدمه لأحد ملوك الجان كهدية ثم فصل رأسه عن جسده، وباستعمال طريقة من إحدى طرق سحره حبس رأس الطفل في تلك الشجرة.. وبعدها ألقى جسده في النهر ولم يمضِ أكثر من ساعتين حتى قُتل كيلان وأقيمت حرب شديدة بين القبيلتين أودت بحياة الجميع ولم يبقَ سواي أنا وزوجي الذي مات قبل عشرين عامًا..

كانت روح الطفل البريئة أقوى بكثير من ملك الجان وسحْر كيلان فانتقمت بقتل كيلان بالفأس التي وجدتّها.. ولكن لم تستطع تلك الروح البريئة أن تتحرر حتى الآن، حاولنا مرارًا وتكرارًا ولكن لم نستطع فعل شيء، وأنتَ يا فتي عليك أن تعلم جيدًا أنه ليس بالأمر الهين.......... ما تود فعله مستحيل فعليك أن تقتلع الشجرة من جذورها وتأخذ بعض الرمال وتمسح بها الدماء الموجودة على الفأس ثم ترمي بعض الرمال في النهر عندما تفعل ذلك ستجد أن لون النهر قد تعكر وعندها فقط تكون قد تحررت روح الطفل..

- حسنًا لا تقلقي يا جدتي أعدك أنني سأنجح، ولكن أحتاج لأن أبيت هنا الليلة أتأذنين لي؟

لم أسمع منها أي رد سوى أنها قامت وأطفأت الضوء ولم يبقَ في الكوخ سوى ضوء القمر وذهبت إلى سريرها ونامت فعلمت حينها أنها أذنت لي بالبقاء.

حقًّا يا لها من امرأة غريبة كيف لها أن تعيش كل تلك الفترة بمفردها دون وجود أي شخص بجانبها؟!

إلى متى ستبقى كل تلك الأسئلة بلا أجوبة؟

إلى متى سيظل هذا الغموض؟

وهل بعد كل هذا سأصل إلى مرادي وأحصل على أجوبتي؟

أمنيتي الوحيدة الآن ألا يكون كل ما أعيشه سرابًا لا حقيقة له.

تمددت أنا الآخر على الأرض واستسلمت للأفكار التي احتلت عقلي...

كان عقلي يشتعل بالأفكار المحرقة التي ستحرقه حتمًا إن استمررت هكذا.. أَكل هذا يحدث من أجل رجل أحب امرأة ثم في نهاية الأمر لم تكن له....

أيستطيع الحب أن يمحو قبيلتين من الوجود؟!

وهل للمحب أن يقتل طفل محبوبته لأنه لم يملكها؟

هل لنار الحب أن تكون هكذا؟

ما هذا الحب الغريب الذي لم أعهده من قبل، إنه ليس حبًّا بل إنه لعنة....

هل سأنجح؟

وكيف؟

وإن نجحت ماذا بعد ذلك؟

وماذا كان يقصد الشيخ العجوز حين قال لي إنني يجب أن استخدم عقلي حتى أنجح في عبوره...

أسئلة كثيرة لا يوجد لها أجوبة تدور في عقلي...

استمررت في التفكير قرابة نصف ساعة حتى غلبني النعاس وذهبت في سبات عميق

استيقظت على احتلال ضوء الشمس لعيني وكأن بيني وبين الشمس عداوة حتى تسلط كامل ضوئها على عيني فبرغم جاذبية تلك الشمس وأننا لا نستطيع العيش من غيرها إلا أنها تحرق كل من يقترب منها...

نظرت في كامل أنحاء الكوخ بحثًا عن المرأة العجوز ولكن لم أجد لها أي أثر، ترى أين اختفت؟

حملت حقيبتي وأغراضي والفأس وقررت البحث عن تلك الشجرة، ما زال شيءٌ واحدٌ عالقًا في ذهني هو كيف أستخدم عقلي كما قال العجوز؟

حاولت ربط الأحداث ببعضها..

الشجرة توجد شمال النهر، والفأس كانت قريبة من الكوخ وكيلان قُتل عند تلك الشجرة بنفس الفأس.

الكوخ والفأس والشجرة...... هناك رابط كبيرٌ بينهم، عليّ العودة مرة أخرى..

قررت الرجوع مرة أخرى إلى الكوخ ولكنني عندما عدت لم أجده! أين الكوخ؟ أين اختفي؟ وما تلك الشجرة؟!

إذًا إنها هي الشجرة الملعونة، ذهبت لأتأكد ووجدت عليها العلامات الحمراء فعلمت أنها هي، ولكن أين الكوخ والمرأة العجوز أيعقل أن يكون ما حدث كان مجرد وهم أو حلم.. عقلي يكاد ينفجر من التفكير..

نفضت رأسي سريعًا من تلك الأفكار فليس وقتها فمن المهم أنني وجدت الشجرة، وحاولت بكل قوة أن أقتلع تلك الشجرة من جذورها لم يكن الأمر عليّ أبدًا بالهين؛ استغرقت نصف النهار حتى نجحت بفضل الله..........

الغريب أن اقتلاع الشجرة من جذروها لم يكن بالأمر المستحيل كما قالت المرأة العجوزة بل أحسست أنني أقطع الأشجار كل يوم حتى أصبحت لديّ كل مهارات تلك الحرفة، حقًّا هناك الكثير من الألغاز التي حتمًا سأعرفها...

بعد أن اقتلعت الشجرة أخذت بعض الرمال التي كانت تحتها ومسحت بها الدماء الموجودة على الفأس والغريب أيضًا أنها قد أُزيلت بكل سهولة، ثم أخذت بعض الرمال أيضًا واتجهت إلى النهر ورميت الرمال في النهر..

للحظات لم يحدث أي شيء ثم خلال بضع ثوانٍ كان قد فار النهر وارتفع منسوب المياه إلى حد لا يوصف.. استغرق الأمر سبع دقائق حتى هدأ النهر وأصبح لونه عكرًا كلون جميع الأنهار، ركبت المركب التي كانت موجودة وبدأت طريقي لعبور النهر...

هبطت من المركب وهويت بجسدي على الأرض فجسدي أصبح هزيلًا من قلة النوم والطعام.

كان كل ما يدور بعقلي حينها.. لمَ أفعل كل هذا؟! أحقًّا حتى أثبت للمجتمع وأولهم ذلك المدعو "ياسين شاهين" الذي كان صديقي قبل سنوات بل كان أعز صديق لي حينها ومعه كل أسراري؟

*****

أخذتني ذاكرتي إلى الوراء قبل سبع سنوات حين كان عمري حينها ٢٨ عاما، وكنت أعمل في إحدى الشركات الهندسية فلقد تخرجت في كلية الهندسة جامعة القاهرة أنا وياسين حتى أننا حالفنا الحظ وعملنا معًا بعد التخرج.. كُنا مقربين كثيرًا من بعضنا حتى جاء اليوم الذي اعترفت له بحبي لأخته.. أتذكر حينها جيدًا ملامح وجهه بمجرد نطقي بتلك الكلمات؛ عبثت ملامحه كثيرًا واحتل الغضب وجهه، ولكمني في وجهي حتى نزف الدم من أنفي وظل يتهمني بالخيانة له.

كيف لي أن أنظر إلى أخته وأحبها؟

كيف لي أن أخونه؟!

كنت أعلم من البداية أن "ياسين" شخصٌ شديد الغيرة على أخته ولكن لم أتوقع أن توصله غيرته الشديدة تلك إلى أن يتهم رفيق عمره بما ليس فيه!

حاولت معه مرارًا وتكرارًا حتى فوجئت بعد شهرين أنه قد زوج أخته من أحد أقاربهم.

عندها وددت لو أفتك به وددت لو ألكمه حتى الموت.. كانت صدمتي بصديق عمري كبيرة لدرجة لا توصف ولكنها مقارنة بالصدمة التي تلقيتها من حبيبة العمر كانت لا تساوي شيئًا..

كيف لها أن توافق على هذا الزواج؟ بل كيف لها أن تنسى كل ذلك العشق، لسنوات كُنا معًا كان العشق يملأ قلوبنا.

أتذكر ذات ليلة كنا نتحدث كعادتنا بعد منتصف الليل.. أقف في نافذة غرفتي كمراهق فى السابعة عشر من عمره يعشق ابنة الجيران.. أراقبها وهي تقف أيضًا في نافذتها، تغازل نسمات الهواء شعرها فيسقط مرارا وتكرارًا على عينيها وفي كل مرة كان يسقط قلبي في عشقها من جديد.....

كانت هي الأخرى تراقبني بعين عاشق ثم قالت لي:

- أتعرف يا آسر أنك أول حب لي لا بل أول عشق، ألا يقولون إن العشق هو أقصى درجات الحب! إن كان هناك شيء يُوصف ما بقلبي أكثر من العشق لوصفتك به......

أيكون العشق هكذا؟!

أكان كل حديثها معي كذبًا؟

أين العشق الذي كانت تتحدث عنه، فلقد تركت سيفها في أول حرب؟!

..........ومن هنا بدأت العداوة بيني وبين ياسين.........

نفضت رأسي من رمال الذكريات التي تلوّث عقلي وعدت إلى الواقع من جديد وهو أن هناك أمرًا يجب أن أكتشفه..

أغمضت عيني وقررت الاستسلام للنوم.. لا أعلم كم مر من الساعات وأنا نائم، لا أعلم أمَضَى يوم أو حتى يومان؟ كل ما أعلمه أنه قد مضى على رحيلي من بيتي أسبوعان.

هذا الوقت ليس بالهين خاصةً أنني لا أتناول سوى القليل من الطعام الذي بالكاد يجعلني أقف على قدميّ، أترى ما أنا ذاهب له يستحق كل هذا العناء؟

أتذكر أنه قبل بداية كل مرحلة من المراحل التي تخطيتها كانت تأتيني تلك المرأة فاتنة عقلي من العدم وتعطي لي شيئًا يساعدني أترى ستأتي الآن لتساعدني ككل مرة؟

هيا لأكمل ما بدأت....

كان هذا حديثي لنفسي.. وقفت على قدمي وفتحت حقيبتي وأخرجت منها الخريطة علّني أجد فيها ما يساعدني، أعتقد أنني بدأت أفهم الآن تلك الخريطة جيدًا ففي آخرها يوجد مكان مظلم به رأس إنسان ثم يوجد طفل مبتسم، أجل فهذا يعني أن ذلك المكان المظلم هو الغابة السوداء والطفل هو نهر الماسة، وبعد ذلك يوجد قيود من الحديد ولكن تلك القيود توجد جهة الغرب من النهر ثم يوجد في رأس الخريطة كلمتان قد كُتبتا باللغة الفرعونية وتلك المرة أيضًا استطعت أن أقرأهما **(المرايات السبع)** ولكن ما لا أفهمه من كل هذا أن الخريطة قد رتبت بطريقة معكوسة كيف هذا؟!.. أيعقل أن تكون المرايات السبع هي البداية لشيء أيضًا مجهول بالنسبة لي؟!

إذًا فعليّ الآن أن أسير جهة الغرب..

*****

ها أنا أرى بوابة مصنوعة من معدن الحديد تتوسط سورًا، من المؤكد أنه يحجب عالمًا مختلفًا عن عالمنا........ اقتربتُ أكثر من تلك البوابة حتى وقفت أمامها مباشرة ولكن ذهلتُ لما رأته عيناي فتلك البوابة لم تكن من معدن الحديد كما ظننت بل كانت من النيران، وهناك شيء من المؤكد أنه ليس إنسيًّا؛ تشع من عينيه النيران حقًّا يكفي لوصفه أنه كالماعز فوجهه لا يفرق شيئًا عن الماعز إذًا إنه (ظام).

قررت أن أستجمع شجاعتي والتقدم أكثر لعبور تلك البوابة حتى بقي بيني وبين البوابة ما يقرب من ستة أمتار بمجرد ما حاولت حينها التقدم أكثر شعرت كأنني وضعت قدمي في حفرة مليئة بالنيران المشتعلة فسحبت قدمي سريعًا ووقعت على الأرض أثر تراجعي بذلك الانفعال فارتطمت رأسي بإحدى الصخور التي كانت موجودة وشعرت بدوار شديد يحتلني، حاولت التماسك قليلًا ولكن فقدت السيطرة على نفسي فغبت عن الوعي..

وجدتني في مكان ما تملأه الرمال السوداء الناعمة، لا ينيره سوى ضوء القمر.. لمحت عيناي من بعيد حوريةً ترفرف كالفراشة بفستانها الفضفاض ذي اللون الأبيض الناصع من شدة الريح، ذاتِ شعرٍ أسود كالحرير رأيتها تقترب مني فاشتدت الرياح أكثر فأكثر حتى امتلأ الهواء بالتراب وانعدمت لديّ الرؤية تمامًا..

شعرت بسخونة تلامس أذني وشفتي تهمس بجنابها ببعض الكلمات بصوت رقيق بدا لي أنه مألوف إلى حد كبير.. كانت تلك الشفاه الوردية تهمس لي بتلك الكلمات...

عندما تتقدم أكثر الزم قول (لكَ ما لنا وعليك ما علينا ابتعد عن الطريق وافتح الأبواب.. أنا المرسل من أحد أقوى السكان فاسمح لي بعبور الظلام أيها الظام)

فتحت عيني وما زالت تلك الجملة تتردد في أذني...

أكنت في حلم أم كان واقعًا؟!

ولكن ما زالت أنفي تستنشق رائحة تلك الحورية.

أتُرى من تكون؟!

ولكن بالتأكيد إنها أتت لمساعدتي.

نهضت وحاولت الاقتراب مرة أخرى بحرص شديد وأنا أردد تلك الجملة حتى وصلت إلى البوابة ولم يكن بيني وبين الأسود سوى بضعة سنتيمترات حينها سمعت صخبًا مرتفعًا من الأسود... وقال: "أنا ظام القط الأسود.. أحرس الأبواب وأمنع الرياح حتى من الدخول ولكن سيسمح لك بالعبور فلك القوة من أحد الملوك فاعبر باليسار ولا تعُد إلا بالمراد."

انتهى من حديثه الذي كان يشبه صخب الحيوانات واختفى بعدها فوضعت قدمي اليسرى أولًا كما قال ودخلت...

وجدتني في مكانٍ به الكثير من الأشخاص، إذًا فمن المؤكد إنني اجتزت تلك البوابة..

أيعقل بكل تلك السهولة؟! إنه حقًّا لشيء عجيب، ولكن تلك المرأة من تكون؟!

...........

ها أنا قد وصلت إلى المرايات السبع وهي (بلاد ما وراء الحقيقة)

أناس يرتدون ملابسَ تعود للقرن السابع عشر على ما أعتقد حسب قراءتي لكتب التاريخ، لا يوجد أضواء تنير المكان سوى الأشياء القديمة التي كان يستعملها الآخرون من قبل مثل الاستعانة بالأخشاب لإنارة المكان.. كانوا يستعينون بالخيول لجر العربات التي صنعت الأجزاء الدوارة بها من الأخشاب المرنة كخشب شجر البلوط........

بعد مرور بضع دقائق على دخولي إلى تلك البلدة رأيت أحشادًا كبيرة من الأناس قد تجمعوا في وسط البلدة مع مرور الكثير من العربات.....

الكل يشيد باسم واحد: يحيا الملك (الفاتينو).. ثم بعد قليل تدخل عربة أخرى تحمل امرأة غاية في الجمال تبدو كالأميرة أم أنها حقًّا أميرة! ثم بعدها يبدأ الناس بالنداء باسمها....... تحيا الأميرة (أيلن)، تحيا الأميرة (أيلن).

مهلًا! إنه نفس الاسم الخاص بالمرأة التي تظهرُ لي في المنام كيف يعقل هذا وتلك.... تلك نفس الحورية التي خطفت معها قلبي..... إنها ترتدي نفس الملابس الخاصة بالبلدة.. أراها تسير بجانب تلك المرأة المدعوة أيلن وكأنها وصيفتها، كانت تسير بخفة وثقة شديدة وكأنها تقول للأرض زادكِ شرفًا أنني أسير عليكِ الآن..

لم تكن أيلن الأميرة بل كانت تلك الحورية!

ثم أمام كل هذا أعود إلى نفسي من جديد لأبحث عن ملابس مشابهة لملابسهم فارتديها حتى لا يُكشف أمري، فأدخل أحد البيوت المفتوحة فمن المؤكد أن لا أحد سيلتفت إليّ في ظل هذا الاحتفال.

بعد قليل من البحث كنت قد استطعت إيجاد أحد الملابس، وعلى الفور ارتديتها، كم كنت أتمنى أن أوثّق تلك اللحظة بالتقاطي إحدى الصور لما أرتدي.. فأنا الآن قد عدت بالزمن إلى قبل مئات الأعوام، من يستطيع أن يصدق هذا، حينما أعود إلى موطني سأكتب كل ما حدث وإن كنت لا أستطيع الكتابة سأتعلمها فمَن الأحمق الذي يضيع كل تلك الأحداث دون أن يكتبها ويعرفها للعالم أجمع.

فور ما انتهيت خرجت فورًا حتى أشاهد ذلك الاحتفال..

أناس يرقصون، نساء تتعري وأكاد أجزم أن جميع أجسادهم عارية والغريب في الأمر أن هناك البعض إن لم يكن الكل يمارس الفاحشة في العلن.

ليس ذلك فقط بل أيضًا هناك رأيت المثليين، كل ذلك على مرآى من الملك والأميرة المدعوة أيلن.

تأمر الأميرة بإحضار أحد الأطفال..... أمامها طفل صغير لم يتعدَّ العاشرة من عمره يرتدي ملابس سوداء يأتي به أحد حراس الأميرة ويأتي حارس آخر بسيف ويعطيه لها، فتقطع الأميرة رأس الطفل أمام عين أمه التي تكتفي فقط بالبكاء، ثم بعد ذلك تقطع

أيضًا رأس هرة سوداء ثم تأخذ بعضًا من دماء الطفل وبعضًا آخر من دماء الهرة وتخلطهما معًا، ويأتي أحد الكهنة ويأخذ تلك الدماء ويبدأ بعمل الطقوس الغريبة، وبعد كل هذه الأحداث التي لا يحتملها عقل.. يعود الجميع لتكملة الاحتفال كأن شيئًا لم يكن.

لدقائق معدودة لم أستطع استيعاب ما يحدث فكل ما مررت به يأتي في جهة وما أراه الآن في جهة أخرى.....

"أين أنا؟! وما كل هذا؟ إنه أشبه بالكابوس، وكيف لامرأة بهذا الجمال أن تقتل طفلًا بريئًا كهذا؟"

"مرحبًا بك يا آسر في أرض الظلام"

كان ذلك الصوت يأتي من خلفي مباشرة، التفت لأرى من يكون فإذا بي أرى تلك المرأة، إنها حور!

حور.. أنتِ حور صحيح؟

كيف؟

وماذا تفعلين هنا؟

وماذا يحدث؟

أنا لا أستطيع حقًّا فهم شيء....

- ستعلم كل شيء عندما يحين الوقت المناسب.. ولكن الأهم الآن أن تستمع لما أقوله جيدًا وعليك أن تفعله ولا مجال للنقاش، غدًا عندما تشرق الشمس عليك أن تأتي إلى القصر.. عنوانه بسيط

أي شخص يمكنه أن يدلك عليه ولن تجد صعوبة في ذلك الأمر. ستأتي إلى القصر للتقديم لوظيفة الحارث الملكي للملك.. قد كلفتني الأميرة أيلن باختيار الحارث فلا تقلق لن أختار سواك لتلك الوظيفة.

لم أستطع الرد ففور ما انتهت من كلامها غادرت مباشرة ولكن ليس عليّ إلا الطاعة. فمن المؤكد أنه ينتظرني الكثير من المفاجآت.

بعدما انتهى هذا الاحتفال اللعين الذي لا ينتمي بأي صفة لعالم البشر، قررت النوم في إحدى الحانات المفتوحة فليس أمامي حل سوى هذا وخاصة أن الجلوس في الحانة اليوم مجانًا بأمر الأميرة.

وها أنا الآن تطأُ أقدامي إحدى الحانات التي لم يكن عقلي يحلم حتى بالدخول إليها فطالما كنت أنا الشخص الذي يخاف الله ويحاول جاهدًا أن يبتعد عن كل ما يغضبه، كثيرًا ما كانت تغلبني النفس وتدلني إلى المعاصي ولكن كنت أعود مرة أخرى إلى الله باكيًا فأظل أستغفره وأرجوه بالعفو ولم يكن يومًا يخذلني، فكيف يخذلني وهو الرحمن؟! ألا يقولون إن النفس لأمارة بالسوء...... فكثيرًا ما كانت تأمرني نفسي بالذنب ولكن كنت أعود إلا ذنبًا واحدًا لم أستطع العودة منه وهو العشق!

****

استيقظت على صوت أحد الأشخاص المزعجين الذي كان يجلس بجانبي ويصرخ بعامل الحانة ليأتي له ببعض النبيذ تبًّا ألم يكتفِ بكل ذلك النبيذ!

فسحقًا لرائحة فمه الكريهة، إنها أشبه برائحة الكلب الميت.

****

اعتدلت من نومي لأرى كم استغرقت في النوم.. فاكتشفت أن الشمس تتوسط السماء ويبدو أنها قد أشرقت منذ زمن فوقفت بعجلة من أمري خوفًا من أن أصل متأخرًا وأجد من تلك الحورية ما لا يعجبني فإن قسوتها غلبت قسوة الرجال.

- مهلًا أيمكنك أن تدلني على مكان القصر فأنا جديد في البلدة؟

كان ذلك سؤالي لأحد الأشخاص، وبعد أن دلني على الطريق وصلت بعد مرور ما يقرب من نصف ساعة حتى ولجت القصر، كان هناك الكثير من الأشخاص الذين من المؤكد أنهم قد أتو أيضًا للوظيفة.

وقفت معهم حتى رأيتها تنزل من سلم القصر مثل الحورية فأنا لم أرَ مثل هذا الجمال من قبل.

فاتنة قلبي.. أنستني عشقي وكادت أن تنسيني معها حتى كل الماضي بجميع ذكراه في تلك اللحظة........

ترتدي أحد الفساتين الزهرية وعلى رأسها إحدى القبعات التي تزين شعرها، كانت تسير بخفة كفراشة رائعة الجمال تتنقل بين شخص وآخر وترى كل من يتقدم لها لمعاينته.

حتى أتى دوري وعندها اختارتني دون أن تنظر حتى في عيني وكأنها تتعمد تجاهلي.

ثم بعدها أمر أحد الحراس بمغادرة كل من أتوا للوظيفة، وبعدها أخذتني معها إلى إحدى الغرف السفلية بالقصر.

- هذه غرفتك يا آسر التي ستمكث فيها طوال إقامتك بالقصر.....

كان هذا حديثها معي.. كانت الغرفة متسعة بالدرجة التي تشعرك فيها بالوحدة، يتوسطها سرير مصنوع من الخشب أقل ما يقال عنه إنه يشبه السرير الخاص بالملوك!

بعد ذلك رأيتها تشير إلى أحد الصناديق الموجودة في أحد أركان الغرفة.....

- "في ذلك الصندوق ستجد كل ما تحتاجه من ملابس مناسبة لك وعليك أن تتحدث باللغة الرسمية للبلاد حتى لا يشك فيك أحد.... وأهم شيء إياك أن تصلي أمام أي أحد أتفهم؟ إياك، وعندما يحين وقت صلاتك تأكد من إغلاق الغرفة جيدًا لكي لا يراك أحد.

مواعيد الصلاة كالآتي

وقت الفجر في الساعة٣، الظهر١١، العصر٢، المغرب ٦، العشاء في الثامنة والنصف.

شروق الشمس في هذه البلدة يكون مبكرًا، لن تستطيع سماع أي صوت لإقامة الأذان، ضع هذا معك سيساعدك لمعرفة الوقت".

نظرت إلى الشيء الذي أعطتني إياه لمعرفة الوقت وكان عبارة عن أسطوانة متوسطة الحجم مصنوعة من الزجاج مقسمة من الداخل إلى شرائح من البلاستيك المقوي يجري الماء فيها ببطء شديد.. كانت كل شريحة تعبر عن رقم معين.. حين يعبر جميع الماء خلالها فهذا يعني أنه قد بلغ الوقت هذا الرقم...

- "في الثامنة صباحًا عليك أن تكون في ساحة القصر حتى تجتمع بالملك والأميرة.. وسيكون اسمك "نورسين"، إياك أن تخطئ وتخبر أحدًا أن اسمك الحقيقي أسر!......... وأنا لا أدعى حور بل حوريهان لا تنسَ أي شيء مما قلته، أعلم أنك الآن مشتت ولا تعرف أي شيء عن ما يحدث ولكن مع الوقت ستفهم".

كالعادة بعدما تتنتهي من حديثها تختفي مباشرة دون أية رد فعل مني، حقًّا تلك المرأة أغرب من أي شيء في البلد ولكن ليس بيدي إلا أن أطيع أوامرها.

نظرت إلى الأسطوانة الزجاجية فوجدتها قد دقت الثامنة، أبدلت ملابسي وخرجت إلى الساحة كما أمرت تلك المتعجرفة وهناك وجدت الملك والأميرة يجلسان أمام طاولة لتناول الطعام ومعهما فاتنتي المتعجرفة....

بعدما رأتني حور وقفت تشير إليّ وقدمتني لهما..

- أميرتي أيلن.... موالي ألفاتينو اسمحا لي أن أقدم لكما الحارس الجديد نورسين.

كانت تلك حوريهان فعلت كما فعلت هي، عندما رأيتها تحني رأسها وجسدها واضعة يدها على صدرها مقدمة للتحية....

بعدها نهضت الأميرة وسارت تجاهي وألقت عليَّ نظرة وسلطت أعينها في عيني لثوانٍ من الوقت ثم عادت مرة أخرى إلى موضعها وقالت:

- دائمًا ما تعجبني اختياراتك حوريهان لذلك لن أتفحصه لأرى إن كان مناسبًا أم لا فأنا واثقة أنك قد قمت بكل ما يلزم.

في واقع الأمر لم أنتبه لأي شيء كانت تتحدث عنه الأميرة؛ كان هناك شيء آخر يشغل تفكيري، كان هناك شيء يجذبني إلى الملك بطريقة غريبة.. شعورٌ أعجز عن وصفه، وجهه مألُوفٌ بالنسبة لي، يخبرني قلبي بأننا التقينا من قبل في مكان ما ولكن لا يستطيع عقلي تذكره.......

أفقت من شرودي على صوت حوريهان وهي تقول: أشكركِ على ثقتك الكبيرة مولاتي الأميرة.

وبعد انتهاء تلك المسرحية التي كانت بطلتها حوريهان وبجدارة طلبت الانسحاب لتناول الإفطار ومر اليوم دون جديد يذكر.....

**الثانية عشرة منتصف الليل**

قابع في غرفتي أنظر من النافذة الخاصة بها لأرى إنارة القمر تدلني عليها صاحبة الشعر الأسود الكثيف الذي ينسدل على ظهرها حتى إنحناءات خصرها وبعض الخصلات التي أعلنت التمرد من شعرها لتنسدل على وجنتها مداعبة لها بفعل نسمات الهواء.. ملامح بريئة لم أرَها من قبل، برغم عجرفتها بها كل شيء وعكسه فكيف لها ألا تكون فاتنتي؟!

أرى عيونها تتأمل القمر بلهفة شديده كلهفة الأم لاحتضان ابنها الغائب، لم أعلم كم من الوقت استغرقت في تأملها ومراقبة بريق عينها المخبأ به الكثير من الأسرار.

عدت إلى سريري من جديد غالقًا نافذة الغرفة عندما وجدتها تدخل القصر وعقلي لا يمل من التفكير بتلك الحورية التي لا أعلم من تكون وما علاقتها بكل هذا.

*****

"هل ما زلت نائمًا حتى الآن؟ استيقظ أيها الفتى فلقد تأخر الوقت".

كان ذلك صوت حور الذي بمجرد أن فتحت عيني وجدتها واقفة أمامي تنظر إلي بعين يكاد الشرر يتطاير منها.

فسألتها:

- ماذا هناك؟! وكم الساعة؟

- قد دقت الثامنة منذ قليل أيها الفتى وما زلت غارقا في أحلامك هيا استيقظ لو علمت الأميرة أنك نائم إلى هذا الوقت يمكنها قتلك ولن يمنعها أحد عن ذلك حتى أنا (لا يسمح لأحد أن يتأخر في المواعيد) وإياك أن تخطئ مرة ثانية، في السابعة والنصف كل صباح عليك أن تكون مُستيقظًا ومُرتديًا جميع ملابسك.. هيا انهض من سريرك واستعد فأمامنا الكثير من الأعمال، سأنتظرك خارجًا".

كانت تلقي كلماتها اللاذعة عليّ بعصبية شديدة.. حقًّا يا لها من امرأة متعجرفة، أجهل حقا في فهم ما يحدث لي، كيف أستطيع أن أحتمل منها كل تلك العجرفة فأنا لم أسمح من قبل لأي أحد مهما كانت مكانته أن يتحدث معي بتلك الطريقة، أتذكر قبل تسع سنوات عندما كنت أحب مرام حدث بيننا شجار بسيط فارتفع صوتها في أثناء حديثها معي فلم أعطِها الفرصة لتكمل حديثها وغادرتُ فورًا من أمامها لأنني أعلم تمام العلم أن عصبيتي لن تروق لها فأنا لا أستطيع كبح أعصابي واستمرت هي بعدها في محاولة

الاعتذار لي مرارًا وتكرارًا حتى بدأت أن أتحدث إليها مرة أخرى بعدها بأسبوع تقريبًا، فبالرغم من حبي الشديد لها إلا أن حتى هذا الحب لم يكن شفيعًا لها، فماذا يحدث لي أمام تلك المرأة؟

كيف يستسلم قلبي وعقلي لي؟

أيعقل أن تكون سحرتني؟!

على الفور بدلت ملابسي وخرجت إلى ساحة القصر لأبحث عن تلك المتعجرفة فها أنا بعد قليل من البحث أراها جالسة تتناول القهوة شاردة الذهن.

ذهبت إليها لأنبهها أنني هنا وتحدثت: أنا مستعد يا حوريهان.

ألقت عليّ نظرة بطرف عينها ثم عادت لتتناول قهوتها كأن شيئا لم يكن حتى انتهت من احتسائها.

بعدها نظرت إلى عيني وتحدثت:

- ستمضي معي اليوم كاملًا لذا لقد أخذت الإذن من الأميرة على أن أشرح لك بعض الأمور المهمة.. سنبدأ أولا بالقصر، الطابق الثاني جهة اليمين ستجد غرفة الملك والأميرة غير مسموح إلا لقليل من الخدم بدخولها، وهناك غرفة في نهاية الطابق وتكون أكثر غرفة يسيطر عليها ضوء القمر وهي غرفة الأميرة.. وانتبه جيدًا لا يسمح إلى أحد مهما كان أن يدخلها حتى لو كان الملك نفسه أما غرفتي أنا فهي أيضا في الطابق الثاني تعلو غرفتك مباشرة...

لم أدرِ لمَ ابتسمت عندما علمت أن غرفتها وغرفتي لا يفصل بينهما سوى جدار، شعور غريب بدأ يمتلكني عندما أرى تلك المرأة تتحدث أحاول أن أحفظ كل لغات جسدها في أثناء حديثها أو حتى عندما تكون شاردة الذهن... لقد سلبتني تلك المرأة كل ما أملك، حطمت كل الحدود التي وضعتها لسنوات حول ذلك العشق الآثم، كساحرة ألقت عليّ تعويذة فجعلتني أتيم بها عشقًا.. أغوت قلبي فداوت جراحه وضمّتها حتى شفيت تمامًا، حتى إنها أنسته كل ما قاساه من سنين، لسنوات كان يعيش على ذكرى امرأة دمرته.. لسنوات كان يندم على كل ما قدمه لها من عشق حتى إنه عهد أن لا يستسلم للعشق مرة أخرى، ولكن تلك الحورية أسرته مرة أخرى، دمرت كل عهوده.. ملكته في ليالٍ معدودة.

بينما أنا تائهٌ في بحر عينيها وبريقهما كانت تتحدث:

- أستاذ آسر أرجو أن لا أكون قد أزعجتك ولكن أيمكنك أن تنتبه لي لبضع دقائق؟

ألقت إليّ تلك الكلمات بعجرفة بعد أن أيقظتني من أجمل أحلامي.. أتمنى لو أنال من عجرفتها حقًّا ولكن تلك العجرفة تعطيها نوعًا من الجمال الخاص بها.

أيقولون إن الرجال ينجذبون للمرأة الضعيفة! فسحقًا لكل الرجال وتلك الأقاويل فبالتأكيد إنهم لم يرو من قبل امرأة رغم كل تلك القسوة فاتنة إلى درجة الإدمان!

****

عادت لتكمل من جديد ما بدأت تقصه علي في الخلف:

- هنا ستجد الحديقة الخلفية للقصر وذلك أكثر الأماكن راحة لي أنا بالتحديد.. وبالطبع نافذة غرفتك تطل عليها والشخص الذي تراه يقف هناك معنفًا أحد الخدم يدعى (أرمين) تكون الأميرة عمته ومن الأفضل ألا تحاول أن تحتك به نهائيا... توجد غرفته في الطابق الثاني أمام غرفتي مباشرة... والفتاة التي تقف بجانبه إنها أخته تدعى سنيم.

اتجه نظري مباشرة نحو تلك الفتاة وكانت أيضا غاية في الجمال تبًّا! أكل نساء هذا القصر هكذا؟!

ولكنها رغم جمالها التي وصلت إيه لم تتفوق على حوريهان، فحوريهان ملكةٌ من نوع خاص لا تصفها ألف عبارة ولا يستطيع أبرع الرسام أن يرسم تفاصيلها الرائعة.

- ألن تكف عن النظر إلى تلك الفتاة وتنتبه لي قليلا!

كان هذا صوت حوريهان الذي يعبر عن مدى انزعاجها الشديد.

مهلًا أيعقل أن تكون قد شعرت بالغيرة!

لم تدعني أتخيل حتى هذا الشعور الجميل وسقطت عليّ بدلو ماء شديد البرودة في فصل الشتاء.

لقد جئت أيها الآسر لتبحث عن المجهول لا لكي تعشق.. إن أردت العشق فاعشق كما تريد ولكن تأكد من أنه سيكون هلاكك....

- وإلى هنا أكون قد أخبرتك بكل الأمور المتعلقة بالقصر.

كانت تلقي كلماتها بجحود شديد وهي تنظر في عيني.. ثم فجأة توقفت عن الحديث لثوانٍ معدودة واستمرت بالنظر إلى عيني دون أن يرق لها جفن...... كنت أود حينها أن أقول لها كفى، لا تنظري مرة أخرى إلى عيني فقلبي سيتوقف عن النبض بعد قليل ماذا تفعلين بي؟!

- هيا بنا لنخرج من القصر ونذهب إلى سوق البلدة لأخبرك ببعض الأمور والطريقة التي تسير بها البلدة لأنك ستقضي بعض الأوقات مع الملك خارج القصر فيجب أن تكون على دراية بكل تلك الأمور.

كان هذا حديثها معي ثم أمرت أحد الخدام بإحضار عربة لمغادرة القصر....

بعد مرور نصف ساعة توقفت العربة في السوق الخاص بالبلدة ونزلت حوريهان من العربة وطلبت مني أن أتبعها فنزلت خلفها.

بدأت بعدها بالحديث عن كل ما يوجد في هذا السوق..........

-هنا ستجد كل المحلات التجارية الخاصة بالبلدة وستجد التعامل هنا مختلفًا كثيرًا، التعامل ليس بالمال لا أعلم هل ستستوعب ما سأقوله أم لا، ولكن التعامل هنا يكون بتبادل الطاقة باستخدام الأيدي.

استمررت بالتحديق بها بضع ثوانٍ علني أفهم ما قالته..........

أقالت ذلك أم إنني أهلوس؟!

قطعت شرودي وأكملتْ.......

- أنت لا تهلوس أو أي شيء من هذا القبيل، كل ما قلته حقيقي فعلًا، حتى تستطيع شراء أي شيء أيها الآسر عليك أن تسمح للبائع بتبادل الطاقة باستخدام يديك ويده وعليك أيضًا بالسماح له بفعل ذلك بإعطاء الأوامر لعقلك بأن يستنفد القدر المطلوب من طاقتك لشراء ما تريد... هنا في هذه البلدة من يملك القدر الأكبر من الطاقة هو من يعيش أكثر ويطول عمره، لذلك عليك أن تحافظ على مخزون طاقتك جيدًا وخصوصًا أنك جديد في هذه البلدة. الشيء الثاني والأهم الذي عليك معرفته أن تلك البلدة لا تتبع أي ديانة لذلك كنت قد أخبرتك بأن عليك الحرص أن لا يراك أحد في أثناء تأدية صلاتك.

- حسنًا ولكن كيف سأستطيع التعامل عندما أريد شراء أي شيء هكذا لن أستطيع العيش.

- بطريقة أو بأخرى فأنت لن تحتاج لشراء أي شيء؛ طعامك وشرابك متاحان في القصر، وهناك شيء آخر بالنسبة لتبادل الطاقة باليد.. إذا كان هناك شخص يحتضر فبإمكان أي أحد إنقاذه بتبادل الطاقة ولكن بالمقابل قد يستنفد كل طاقته مهما بلغ ما لديه من مخزون ويمكن أن يموت الشخص الآخر مقابل إحيائه... تلك هي الحالة الوحيدة التي يمكن فيها تبادل الطاقة دون استخدام عملية الشراء.

كان عقلي قد توقف عن تصديق كل ما تقوله أو حتى عن استيعاب تلك الأشياء ولكن بما أنها قررت أن تخبرني عن البلدة فسأسلها عن كل شيء غير مفهوم بالنسبة لي يخص تلك البلدة، وأولها الأحداث التي حدثت في أثناء الاحتفال.

- حسنًا وماذا عن الطفل الذي ذبح في أثناء الاحتفال؟

- كل عام تقيم الأميرة احتفالًا وتضحي فيه بطفل تقدمه للشيطان الأكبر كقربان وغير مسموح لأي أحدٍ مهما كان بالاعتراض. أظن أنك استطعت معرفة كل شيء عن البلدة.. هيا بنا لنعود إلى القصر.

وصلنا إلى القصر صعدت حوريهان إلى غرفتها وولجت أنا إلى غرفتي وفي أثناء طريقي إلى الغرفة اصطدمت بشخص لم يكن في الحسبان.

- من أنت أيها الأبله ألا ترى؟

كان ذلك الصوت من المدعو أرمين.

قلت بصوت مرتفع بعض الشيء:

- أنا آسف لم أنتبه أيها الأمير أعتذر مرة أخرى على ما بدر مني.

- تعتذر يا أبله ألم تسمع عني من قبل؟! ومن تكون أنت؟

- ماذا بك يا أرمين؟ أعتقد أنه قد أعتذر منك وانتهى الأمر.. لا تفتعل المشكلات أكثر من ذلك وبالمناسبة إنه يكون نورسين الحارس الملكي للملك.

كان ذلك صوت حوريهان التي أتت بعد أن رأتنا في أثناء ذهابها إلى غرفتها.. كانت تتحدث بعجرفتها كالعادة حتى مع ذلك القاسي أرمين.. والغريبُ في الأمر أنه لم يظهر عليه الغضب إطلاقًا من طريقتها معه في الحديث بل كان ينظر إليها نظرة غريبة لم أستطع أن أفسرها، أهي نظرة حب أم كره.. أم ماذا؟!

- حسنا يا حوريهان من أجلك أنت فقط أيتها الجميلة سأتغاضى عن ذلك الأمر.

ها قد خضع أمامها رجل من أقسى الرجال، رجلٌ من هيئته يجب أن تهابه آلاف النساء.. ولكن من لا يخضع لتلك الحورية مهما بلغت قسوته؟!

نظرت إليه حوريهان نظرة احتقار وصعدت لغرفتها ولم تأبه لكل ما قاله....... وبعدها خرج الأبله من القصر وعدت أنا إلى غرفتي فكان قد حان موعد صلاة العشاء.

أغلقت الغرفة بإحكام وتأكدت من غلق النافذة.. وبعد أن انتهيت من صلاة العشاء فتحت النافذة مرة أخرى وإذا بي أراها كالعادة واقفة تتأمل القمر بلمعة عينيها الساحرة.........

في تلك المرة لم أستطع منع نفسي فخرجت من الغرفة وذهبت إليها:

- كل يوم في نفس التوقيت أراكِ واقفة تتأملين القمر بلهفة شديدة أيمكنني معرفة ما الأمر أم أن هذا أيضًا غير مسموح به؟!

- ذلك القمر جزء مني أرى فيه نفسي هو من يعطينا الأمل أن غدا سيأتي.

- هو حقًّا جزء منكِ.

- نعم؟

- متأسف لم أقصد أي شيء ولكن لمَ أنتِ دائمًا متعجرفة هكذا ماذا سيحدث لو تحدثتِ بهدوء كما أحدثكِ؟

- آسر، أعتقد أنه من الأفضل أن لا تتدخل فيما لا يعنيك وعليك التركيز على ما أنت قادم لأجله... غدًا في السابعة والنصف صباحًا يجب أن تكون مستعدًا، سيخرج الملك خارج القصر وبالطبع سترافقه وأنا أيضًا سأكون معكما لا تقلق.

كالعادة تلقي عليّ كلماتها اللاذعة وتختفي من أمامي كلمح البصر.

عدت أنا أيضا لغرفتي وذهبت في سبات عميق.........

****

أسير في مكانٍ غريبٍ خلف سراب لا أعلم عنه شيئًا ولكن ما أعلمه أن ذلك السراب يجذبني إليه، تتسارع نبضات قلبي كعاشق يرى الحبيب بعد طول انتظار.. يتصبب العرق من جسدي بأكمله كمن كان في صراعٍ مع كلب كاد أن يفتك به.. أشعر بثقل جسدي فتتباطأ أقدامي.

أرى حوريهان خلف هذا السراب تنظر إليّ مبتسمة تشجعني أن أقترب أكثر... تحدثني أن عليّ أن أتنازل عن حياتي حتى نستطيع أن نجتمع معًا، أقترب منها أكثر بلهفة شديدة، ثم فجأة أرى شخصًا يمسك يدي بقوة فإذا بها مرام....

فأستيقظ سريعًا من منامي أحاول تجميع أفكاري.. يتساقط الماء على كامل جسدي من ذلك الحلم الغريب أم أنه أشبه بالكوابيس....

حاولت أن أستجمع نفسي وتناولت بعض الماء الذي كان بجانبي وانتبهت إلى أن الساعة دقت السابعة قبل قليل.

نهضت من سريري وقمت بالاستعداد وقبل أن أتجه نحو الباب للخروج كان قد فتح ودخلت منه حوريهان.........

****

-هذا شيء مفرح أيها الآسر لقد بدأت استيعاب ما أقوله، الساعة السابعة ونصف تماما وأنت مستعد هيا اتبعني إلى الخارج.

- كيف تدخلين إلى غرفتي أيتها المتعجرفة دون استئذان؟ ثم إنني كُنت مغلقًا باب الغُرفة جيدًا.

- يمكنني دخول أي شيء أريده حتى إنه يمكنني التحكم بعقلك دون أي استئذان... احتفظ بهذا الخنجر فستختبرك الأميرة أيلن اليوم وعليك اجتياز هذا الاختبار.

- تختبرني؟ كيف؟! حسنًا أنا لا أفهم أي شيء؟

- لا يهم انتظر وستفهم كل شيء بعد قليل.

الرحمة يا إلهي من تلك المتعجرفة!

سرت خلفها حتى وصلنا إلى ساحة القصر فوجدت الملك والأميرة يتناولان إفطارهما.

انتظرنا حتى تناولا طعامهما ثم بعد ذلك خرجنا من القصر.

كان الملك والأميرة معًا في العربة نفسها وكنت أنا والمتعجرفة وأرمين في عربة أخرى، كان ذلك الأبله ينظر إلى حوريهان بطريقة غريبة لم أعلم لمَ وددت حينها لو افتككت به.

بعد مرور القليل من الوقت كنا قد وصلنا إلى أحد القصور الموجودة في وسط البلد والذي لا يقل فخامة عن القصر الملكي.

نزل الملك والأميرة من العربة يتبعهما أنا وحوريهان وأرمين.

دخلنا القصر وكان في استقبالانا شخص يدعى (مالكان)، وامرأة تسمى (قاسمة)

كانا يلقيان التحية على الملك والأميرة بحرارة شديدة ثم دعوهما إلى الدخول للقصر.

تناولوا معا بعض المشروبات ثم بعد ذلك ظهرت امرأة أظن أنها في الثلاثين من عمرها اتجهت مباشرة إلى أرمين لتلقي عليه التحية والغريب في الأمر أنها كانت تتغزل به أمام الجميع وهو لا يأبه بها حتى..

بينما كنا نتحسي القهوة جميعًا في حديقة القصر أسقطتْ بعضًا من القهوة الساخنة على يد حوريهان فسألتها بقلق شديد:

- حوريهان هل أنتِ بخير؟

- نعم يا نورسين لا تقلق أنا بخير أظن فقط أن على ( ألمينا ) أن تتوخى الحذر مرة أخرى

- وأنا أيضا أظن ذلك

قالها أرمين

- آسفة جدا عزيزتي حوريهان تعلمين أنني لم أقصد إيذاءك صحيح؟! أرمين عزيزي هيا بنا لنسير قليلا في الحديقة فلدي حديث أود أن أخبرك به هل تسمح لي؟

لم يمانع أرمين ردها بل رحب به وبشدة وكأنه بذلك الأمر يريد أن تشعر حوريهان بالغيرة حقًّا.

يا له من أحمق.

أخذت الأبله أرمين وغادرا بعيدًا عنا وبقيت أنا وحوريهان وحدنا.

- لماذا تكرهكِ هكذا؟ أنا حقا لا أفهم!

كان هذا سؤالي لحوريهان فور ما غادرا مباشرة...

- تعتقد الحمقاء أنني أبادل أرمين نفس شعور الحب لذلك تكرهني؟

- أرمين؟! نعم أوافقك الرأي.... إن تصرفات هذا الشخص حمقاء مثله ولا أعتقد أنكِ ستحبينه يوما ما.

نظرت إليّ بأطراف عينها ثم عادت إلى احتساء قهوتها مرة أخرى كأنني لم أقل أي شيء!

بعد الانتهاء.. عدنا إلى القصر وفي أثناء طريقنا ظهر بعض الأشخاص الذين اقتحموا طريقنا.

نزلت أنا وأرمين وبعض الحراس من العربة وتأكدت من وجود خنجري معي كان الخوف يحتل قلبي قليلًا فأنا لا أعلم إلى ماذا سينتهي هذا القتال، ولكن تذكرت حديثي مع حوريهان فبدأ قلبي بالاطمئنان قليلًا وأخرجت خنجري ثم طعنت البعض ممن كانوا يودون قتل الملك.

والغريب في الأمر أن الطعنة الواحدة كانت كفيلة بإماتة الشخص والأغرب أنني كُنت ماهرًا كثيرًا في القتال كأنني أتدرب لسنوات على يد أمهر الأشخاص.. ولكن لم يكن هذا لمهارتي بل كانت حوريهان، نعم حوريهان كانت هي من تتحكم بعقلي وترشدني إلى ما أفعل كنت أسمع صوتها وأتبع ما تقوله حتى استطعت أن أتغلب على معظمهم.

بعدما استطعنا قتلهم جميعًا عدنا مرة أخرى إلى العربة لنجد الأميرة تتحدث مع حوريهان بانبهار شديد..

- أنا معجبة باختيارك يا حوريهان لنورسين كثيرًا أحسنتِ حبيبتي الاختيار كالعادة. أتوافقني الرأي ألفاتينو؟

- بالطبع عزيزتي أوافقكِ

- شرف لي يا مولاتي ثقتك العالية بي...........

بعد انتهاء الحديث واصلنا السير للعودة إلى القصر.. وها قد وصلنا إلى حديقة القصر وذهب كل من الملك والأميرة إلى الداخل ولم يبقَ سوانا نحن الثلاثة.

- أتعلم يا نورسين أنك أظهرت ولاءك للملك والأميرة ولكنني ما زلت لا أثق بك فانتبه مني جيدًا.

قالها أرمين الأبله معي ولكن سرعان ما أردعته حوريهان بالكلام القاسي كعادتها.

- أرمين توقف عن محاصرتك لنورسين فليس كل الأشخاص مثلك!

- أتعلمين عزيزتي حوريهان أنني أعجب بكِ أكثر في أثناء إلقائك عليّ الأوامر!

قالها أرمين ثم كاد أن يضع يده على وجنتها ولكن دوت عليه صفعة قوية كادت أن توقعه أرضا من حوريهان!

- قلت لك أيها الأبله لا تتجاوز حدودك معي مرة ثانية!

- ستندمين يا حوريهان كثيرًا على تلك الصفعة أعدك ستندمين وحتما سأمتلككِ قريبا.

ألقى تلك الكلمات اللاذعة وغادر.. ولحقته هي إلى غرفتها.

أتعجب كثيرًا من قوة تلك المرأة من تكون وكيف لها أن تكون بتلك القوة؛ لا تأبه لأي أحد، لا يستطيع أن يوقفها أحد، متمردة، قاسية القلب، ولا أنسى أنها متعجرفة، ولكن تَروقُ لي كثيرًا.

أعتقد أنني أوشكت على الغرام بها.

يا إلهي!

****

قابع في غرفتي لا أعلم كم من الأشهر مضت، وكم يبقى من الوقت لأعود إلى موطني من جديد، لا أعلم لمَ كل هذا!......

أكان كل ذلك حقا لأثبت لذلك الأحمق المدعو ياسين شاهين أنني على حق؟

أيستدعي مجرد حلم أن أخاطر بحياتي وأترك جدي وحيدًا أم أن هناك شيئا كنت أهرب منه؟

أكنت أهرب من حبي الذي قد حطمته سفاهة صديقي ولم أستطع نسيانه رغم مر السنين؟! أو أنه قد كان كل ذلك مكتوبا لألتقي بها حوريهان القلب وأنسى مع حبها كل آلامي؟

أأحببتها حقا؟! أم بهرت بها فقط؟

أم كانت مجرد فتاة نسيت بها حبي الأول؟

ولكن لا يمكن أن يكون كذلك فمعها أشعر بشعور لم أعهده من قبل، شعور مُختلط بالخوف والأمان والحب والطمأنينة نعم أحاسيسي مختلطة.. ولكن كيف أحببتها وأنا لا أعلم عنها أي شيء فهي كاللغز بالنسبة لي أيكون الحب هكذا؟ وهل ستحبني هي يوما أو أنني سأخسر من جديد حبي!

كنت دائما ما أصدق قول أبو تمام

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى... ما الحب إلا للحبيب الأولِ

كم منزل في الأرض يألفه الفتى... وحنينه أبدًا لأول منزلِ

ولكني الآن أصبحت أؤمن بشعر الأصبهاني

دع حبّ أول من كلفتَ بحبه... ما الحبُّ إلا للحبيب الآخر

ما قد تولى لا ارتجاعَ لطيبهِ... هل غائبُ اللذاتِ مثلُ الحاضرِ

ااااه يا حوريهان تملكتِ قلبي حتى أصبحت أؤمن أنك آخر حب سيحتل قلبي.

****

للحب أمور عجيبة لا يمكن أن يفهمها أحد مهما بلغ عمره فبإمكان الحب وحده أن يجعلنا تائهين ومحطمين في كل لحظة، وبإمكانه أن يجعلنا أسعد مخلوقات العالم وأقواهم!........

نهضت من سريري لأصلي الفجر فكان قد حان موعده وبعد ما انتهيت من الصلاة عدت إلى سريري من جديد لعلَّ عقلي ينال قَسطًا من الراحة بعد ما أرهقته بكل هذا التفكير..........

حلَّ صَباحٌ جديد يحمل معه من المؤكد الكثير من الألغاز والمغامرات الجديدة.

استيقظت ثم بعد القليل كنت قد انتهيت من ارتداء ملابسي خرجت من غرفتي وصعدت إلى غرفة الملك لأمارس مهمتي كحارس...... وفي أثناء صعودي رأيت غرفتها وددت لو أتفحصها لو أرى كيف تكون، كان هُناك شيءٌ غريبٌ يجذبني إليها وجدت قدمي تخونني على غير العادة وتجرني إليها، فتحتُ الغرفة بهدوء شديد كانت تجلس على سريرها شاردة في تفحص أحد الكتب الغريبة التي لم أستطع تمييزها ولكن دعنا من الكتب، فلقد كانت كعادتها جميلة بحق السماء تليق بها حقًّا أن...... أن تستثنى عن كل نساء العالم.............

- هذه ليست غرفة الملك أيها الآسر!.........

أفقت من شرودي على صوتها تمنيت لو سحمت لي قليلًا أن أشرد في ملامحها ولكن أيعقل أن تفعل هذا حوريهان المتعجرفة!

- متأسف لم أقصد حقًّا ولكن عليّ الاعتراف أن غرفتكِ جميلة جدًّا.

في واقع الأمر كنت أتمنى أن أقول لها إنني أقصدكِ أنتِ بهذا الحديث.. كم كنت أتمنى أن أتغزل بها قليلًا كما يفعل الأبله أرمين ولكن فضلت الصمت على أن أرى ما لا يحمد عقباه.

- أشكرك أيها الأسر هيَّا إلى عملك سيخرج الملك خلال خمس دقائق وعليك أن ترافقه.

في تلك المرة كنت أنا من غادرت أولًا بعد ما أنهت حديثها مباشرة لن أسمح لها أن تكون المغادِرة أولًا ككل مرة تكفي عجرفتها.

اتجهت إلى غرفة الملك وفي أثناء طريقي اصطدمت بشخص تمنيت للحظة ألا يكون الأبله أرمين ولكن سرعان ما انتبهت أنها سنيم فهممت سريعًا بالاعتذار منها:

- مهلًا أنا أعتذر كثيرًا لم أركِ أتمنى أن تقبلي اعتذاري.

كانت لطيفة معي لدرجة لا توصف؛ ابتسمت سريعًا ووضعت يدها على كتفي وقالت لي:

- لا عليك يا نورسين، أنت نورسين الحارس الجديد للملك صحيح؟

- نعم إنه أنا.

- خدم القصر معظمهم يتحدثون عنك مؤخرًا وفي حقيقة الأمر أعجبني حديثهم عنك كثيرًا، وتبدو لطيفًا أيضًا.. أتمنى لو نصبح أصدقاء أتمانع؟

كنت على وشك الرد ولكن استوقفني حديث حوريهان التي لم انتبه إليها أبدًا، متى أتت لا أعرف!

- مرحبا سنيم كيف حالك؟ وأنت يا آسر ألا ترى أنك تأخرت كثيرًا على الملك؟ هيًّا عد إلى عملك لو سمحت.

ألقت التحية سريعًا على سنيم ولم تتنظر حتى ردها وسرعان ما نظرت إليّ بنظرات ثاقبة وألقت كلماتها عليّ ثم غادرت سريعًا.

مهلا أغارت حقًّا؟!

هل من المحتمل أن يكون تخميني صحيحًا؟

نظراتها تلك التي أراها لأول مرة لا تفسر إلا هذا! آه منك يا حوريهان إلى متى ستعذيبني ولكن لأعترف الآن أنكِ استطعتِ تخليصي من ورطة لم أكن أعرف كيف سأنجو منها..

اعتذرت من سنيم وغادرت بعدها مباشرة واتجهت إلى غرفة الملك ووقفت قليلا لانتظاره، ثم بعدها خرج هو من غرفته.

- نورسين ألم نلتقِ من قبل في أي مكان؟

- لا يا مولاي الملك لا أذكر أننا التقينا في مكان ما من قبل.

- غريب هذا الأمر فأنا أشعر أنني أعرفك جيدًا!

"ألفاتينو عن ماذا تتحدث أنت والحارس؟ هيا بنا نخرج لنتناول الإفطار"

كان هذا صوت الأميرة ولكن ما استوقفني حقًّا أنني أشعر أن هناك شيئًا يجذبني لذلك الملك منذ أول مرة رأيته فيها وددت لو أستطيع عناقه ولو لدقيقة واحدة، كان هناك شيءٌ غريبٌ يجذبني إليه، أشعر أنني أعرفه منذ سنوات مضت فماذا قد يكون بيننا؟

أخرجت تلك الأفكار من رأسي وأسرعت للحاق بهم

"مهلا نورسين لمَ العجلة؟"

قالها الأبله أرمين الذي قطع طريقي في أثناء لحاقي بالملك وحقًّا هذا آخر ما كنت أنتظره.

- أود اللحاق بالملك فمهمتي هي حماية الملك وليس الحديث معك.

- انتبه لحديثك معي جيدًا فبإمكاني أن أقتلك لو أردت.

- افعل ما تريد إن استطعت.

لا أعلم من أين أتتني تلك الجرأة في أثناء حديثي معه ففور ما انتهيت من حديثي تركته وغادرت.

- أرمين عليك أن تبتعد عن نورسين لا تقحمه في المشكلات فهمت؟ لن أكرر عليك هذا الكلام مرة أخرى.

- حوريهان عزيزتي تعلمين أنني لا أحب المشكلات بل أعشقها كعشقي لكِ تماما، ولكن لمَ كل ذلك الاهتمام به أتبادلينه نفس المشاعر التي يشعر بها تجاهك؟

- اخرس يا أرمين وإياك أن تقترب منه فهمت؟

- إياكِ أنتِ أن تحبيه عزيزتي حتى لا أقتله أمامكِ وتعلمين أنني أستطيع فعل ذلك جيدًا، أفهمتِ أيتها الجميلة؟!

*****

- صباح الخير مولاي الملك، صباح الخير مولاتي الأميرة.

- صباح النور يا حوريهان، عليكِ أن تذهبي لتفحص المصنع اليوم لا تتأخري ويمكنك أخذ نورسين معكِ.

- حسنا مولاتي الأميرة سأطلب من الخدم إعداد العربة للمغادرة الآن.

في أثناء طريقنا لم أكف عن النظر إليها فهناك شيءٌ يجذبني إليها ربما غموضها أو ربما حبي لها لا أعلم.

- توقف عن النظر إليّ يا آسر.

- هناك شيءٌ بكِ يجذبني، لا أعلم حقًّا ما هو!

- أو من الممكن أنك تنسى بي عشقك لأخت ياسين رغم مرور السنين ولكنك لم تستطع نسيانها.

- كيف علمتِ كل هذا؟

- أخبرتك من قبل أنني أعلم عنك كل شيء.

- ولكنني لا أحاول أن أنساها بكِ فأنا حقًّا نسيتُها محوت كل ما تبقى من ذكراها.. لا أعلم متى استطعت أن أتغلب على عشقها ولكنه قد حدث، لأول مرة بعد سنوات أنجذب لامرأة أخرى وأستسلم لها بكل حواسي.

- كلام جيد ولكن من الأفضل لك ألا تقع في حبي.

- ما المانع من الوقوع في غرامكِ أو حتى أن تقعي أنتِ في غرامي.

- آسر قلت لك من الأفضل أن تكف عن ما برأسك وتذكر جيدًا ما أنت قادم لأجله.

- أنا لا أعلم من الأساس ما قدمت لأجله وأنتِ لا تودين إخباري بأي شيء أشعر أنني أسير في دوامة لا نهاية لها.

- لا تستعجل أيها الآسر ستفهم كل شيء قريبًا هيا بنا لقد وصلنا.

كان المصنع غريبًا جدًّا والأشياء التي يصنعونها أغرب.. كانوا يصنعون أشياء سوداء تشبه الدمي، كان منظرها بشعًا لدرجة لا توصف.

- ما تلك الأشياء التي يصنعونها؟ ولمَ جميعها باللون الأسود، والعمال أيضا غريبو الأطوار!

- هنا تُصنع أهم شيء تقوم عليه البلدة. تلك الدمية مهمة جدًّا لاستمرار الحياة في البلدة وهؤلاء العمال هم من أصحاب البلدة، وغير مسموح لأي أحد غيرهم العمل في هذا المصنع إلا إن كان من جنسهم.

- جنسهم! ماذا تقصدين بذلك؟ أتقصدين أن أجناس الأشخاص الذين يمكثون هنا مختلفين!

- نعم يوجد هنا في البلدة جنسان ولا أستطيع توضيح أي شيء غير هذا الآن.

- حسنًا ولمَ اللون الأسود تحديدًا لمَ ليس أي لون آخر؟

- لأن هذا اللون الوحيد الذي يمتلك القوة وهو اللون المفضل لهم، تعالَ معي سأريك شيئًا.

اتجهنا إلى قبو يوجد تحت الأرض به ممر سري لا يستطيع أحد الوصول إليها إلا إذا كان يعرف المكان جيدًا.

كان القبو مليئًا بالفئران وبقايا القطط المتعفنة وجلود الثعابين المحروقة، كانت رائحة القبو كريهة إلى حد لا يطاق أوشكتُ حينها على السقوط أرضًا من تلك الرائحة، المكان مظلم إلى حد كبير.

- هنا أيها الآسر تحرق الدمي التي قد رأيتها بالمصنع، بعدما يُمارس عليها بعض الطقوس.

لم أستطع تحمل الرائحة أكثر من ذلك فخرجت فورًا من القبو ولحقتني هي أيضًا.

- عليك أن تعلم جيدًا أن هناك الكثير من الأشياء الغريبة التي ستكتشفها بمرور الوقت، ويجب أن تمتلك القدرة لتحمل كل تلك الأسرار الغريبة.

- هيَّا بنا يا آسر لنعود إلى القصر... يكفي هذا القدر الذي علمته.

في أثناء طريقنا إلى القصر كانت هناك الكثير من الأفكار التي تحتل عقلي، كان عقلي سيجن من كل تلك الألغاز ومن هذه البلدة الغريبة.. هل يعقل أن يكون كل ذلك حقيقيًا! وأن تكون فعلًا تلك البلدة موجودة؟ هل يعقل من الأصل أن يكون كل ما أحياه الآن حقيقيًا، أم أنه مجرد كابوس وسأستيقظ منه ولكنني لا أود الاستيقاظ بمفردي فأنا أحببتها حقا.... فلا ملذة للحياة من دونها......

(وإن عدت يوما دونها فمرحبا بشقاء الحياة إلى المنتهى، وإن عدت بها فهنيئًا لقلب طال انتظاره لها).

ولكن مهما يكون كل ذلك فحتمًا له وقت وسينتهي.

*****

بدأت الشمس تعلن عن بداية يوم جديد ولكنها لم تكن تعلن فقط عن يوم جديد بل كانت ترفع الستار عن رحلةٍ جديدة لم تكن أبدًا في الحسبان!

خرجت إلى ساحة القصر بعد ما أبلغني أحد الخدم بأن الأميرة تريد رؤيتي.. تفاجأت كثيرًا من الأمر ولكن كانت المفاجأة الأكبر أنني وجدت الجميع هناك بما فيهم حوريهان، لم أستطع معرفة سر هذا التجمع المفاجئ.

عندما وصلت تحول نظر الأميرة سريعًا إليّ ثم تحدثت.........

- من الجيد أنك أتيت يا نورسين لقد طلبت منكم الحضور لأن هناك شيئًا عليّ إخباركم به....... سيذهب الملك إلى منطقة (ديمادانو) وسيذهب معه أرمين وسنيم وبالطبع نورسين.

- نورسين؟!

- هل هناك مشكله يا حوريهان؟ بالطبع نورسين فهو الحارس الخاص بالملك.

- لا يا مولاتي الملكة عفوًا لم أقصد ذلك ولكن ماذا عني ألا يمكنني مرافقتهم؟

- لا أنتِ ستظلين معي فأمامنا الكثير من الأمور التي علينا الانتهاء منها قبل عودة الملك.

بعد ما أنهت الأميرة حديثها غادرت ولحقها الجميع وبقيت أنا وحوريهان بمفردنا.

كانت حوريهان قلقة إلى حد كبير وشاردة الذهن فبدأت الحديث أنا.......

- ما هي تلك البلدة التي تحدثت عنها الأميرة؟

لم أتلقَّ منها أي رد؛ كانت ما تزال شاردة فأعدت سؤالي مرة أخرى حتى انتبهت لي.

- ديمادانو..... إنها المنطقة الشرقية من البلاد يعيش فيها أمهر سكان البلدة وأطولهم عمرًا وهم أيضًا المتمردون على الملك والأميرة.

- متمردون كيف؟!

- يرون أن البلاد يجب أن يحكمها أحد آخر غير الملك قامت الكثير من النزاعات في الماضي على هذا الأمر ولكن الأميرة استطاعت السيطرة عليهم قليلًا.. ولكن سرعان ما ظهر اعتراضهم مرة أخرى وبدأوا بافتعال بعض المشكلات وبعد تواصل الأميرة معهم ومحاولة حل تلك الفوضى توصلوا إلى حل واحد وهو أنه في كل سنة على الملك تقديم فدية لهم.

- وما هي تلك الفدية؟

- مئات القطط السوداء البرية مع رؤوس بعض الأشخاص الآدميين.

- ماذا تقصدين بالآدميين؟

- آسر لا يمكنني أن أخبرك بالمزيد ولكن كل هذا لا يهم المهم الآن هو كيف أستطيع إقناع الأميرة ببقائك في القصر.

- ولكنني أود الذهاب.

- لا تستطيع أيها الآسر، لا تستطيع.

- ما المشكلة؟ إذا كانت مشكلتك الخوف من أن يكشفني أحد لا تقلقي سأنتبه لهذا الأمر جيدًا.

- ليست هذه المشكلة الوحيدة؛ افهمني، حياتك ستكون هناك معرضة للخطر ولن يمكنني حمايتك هناك....... افهمني يا آسر عليك أن تبحث عن حل معي للتخلص من تلك الأزمة التي وقعنا فيها.

- لا يا حوريهان، هذه المرة لا، أنا من سيأخذ القرار هذه المرة.....

تركتها وغادرت بعدما انتهيت من حديثي مباشرة ولم أنتظر منها أي رد، كانت هذه المرة الأولى التي أعارض فيها قراراتها ولكن كنت قد سئمت من الخضوع لها، ماذا سيحدث إن ذهبت!

لا أعتقد أنه قد يحدث شيءٌ أسوأ مما مررت به من قبل، والأهم من كل هذا أنني كنت أريد لأول مرة الابتعاد عنها علني أتخلص من عشقها....... كان هناك صراع بين قلبي وعقلي ولكن في هذه المرة كان عقلي هو المنتصر.

عدت إلى غرفتي وأعددت حقيبتي ووضعت فيها الملابس التي ستلزمني لأسبوع بعد أن علمت من الأميرة أن تلك الرحلة ستسمر لأسبوع ثم بعد الانتهاء كنت قد خرجت وتوجهت إلى غرفة الملك لمرافقته.

بعد خروج الملك من غرفته رافقته إلى الخارج ولحقنا كلًا من أرمين وسنيم.

توجه الملك إلى حيث توجد الأميرة واستمروا بالحديث لقليل من الوقت أما أرمين وسنيم فقد بدا لي أنهما منشغلين بشيء على غير عادتهما كانت الجدية تعتليهما حتى أرمين الأحمق الذي كان دائما ما يكرهني ويكره وجودي معه في أي مكان لم يكن يعيرني أي انتباه.

أتت حوريهان إلي واستغلت انشغال الجميع وقدمت لي سلسالًا أسود اللون له بريق كالألماس.

- ما هذا؟

كان هذا سؤالي لها بعد أخذه منها مباشرة.

- إنه سلسال قريب إلى قلبي لم يفارقني منذ عشر سنوات ولكن علي أن أعطيه لك سيكون هو الوسيلة الوحيدة التي يمكنني بها معرفة إذا كان هناك خطر يحوم حولك أم لا.

- لا يمكنني أخذه منكِ.

- آسر يمكنني إنهاء تلك اللعبة الآن إن أردت لا تجبرني على ذلك وتختبر صبري عليك أن تأخذه لأستطيع حمايتك ولو قليلًا.

- حسنا هيا أنهي تلك اللعبة فقد سئمت افعلي ما تريدين هيا.

كنت أعني كل كلمة تحدثت بها وكانت هي لأول مرة تنظر إليّ بعيون حائرة قلقة لأول مرة أراها هكذا كانت على غير عادتها تخلت عن عجرفتها في تلك اللحظة تمامًا ثم بعد قليل تحدثت وقالت:

- من فضلك أيها الأسر خذ هذا السلسال معك هكذا سيطمئن قلبي عليك حتى ولو قليلًا.

نظرت إليها بعيون متعجبة من ردة فعلها فلم أكن أتوقع منها هذا إطلاقًا ظننتها حقا يمكنها إنهاء تلك اللعبة ولكنها كعادتها تفعل أشياء لا يمكن أن أتوقعها.

أخذت منها السلسال دون التفوه بأي كلمة والتقت أعيننا قليلًا ثم سرعان ما تركتها وغادرت لاحقا بالملك.

لحقت بعربة الملك الخاصة ولحق بنا أرمين وسنيم وبعض الحراس الذين كانوا يحملون الفدية، استمر الطريق من ظهيرة يوم السبت حتى ظهور القمر في يوم الأحد وفي تلك الأوقات لم يكن عقلي مشغولًا سوى بها وما حدث.

وصلنا إلى منطقة ديمادانو وكان في انتظارنا رجل أسود اللون ذو شعر مجعد وملامح رجولية قاسية اتضح لي بعد ذلك أنه وسيلة التواصل بين المتمردين والملك يدعى ( ناي)، رحب بالملك ترحيبًا يليق به ثم بعد ذلك أخذنا إلى القصر الذي يقيم فيه.

بعد وصولنا إلى القصر أخذ الخدم حقائب الجميع بما فيها حقيبتي ووضعوها بداخل غرفة كل منا..

كانت غرفتي في الطابق الثاني بجانب غرفة الملك، أما أرمين وسنيم فقد كان لكل واحد منهما غرفة منفصلة في الطابق الأول.

ذهب الملك لأخذ بعض الراحةِ قليلًا ولحقت به أنا ايضًا إلى أن يحين موعد العشاء في العاشرة مساءً.

تأكدت من غلق باب الغرفة جيدًا ثم أبدلت ملابسي وجلست على السرير، استمررت في النظر إلى السلسال لبعض الوقت شارد الذهن حتى غلبني النعاس....

بعد مرور القليل من الوقت كنت قد استيقظت وذهبت إلى غرفة الملك، طرقت الباب ودخلت بعد أن أذن لي الملك بالدخول

- مولاي الملك لقد حان موعد العشاء.

- حقًّا! لم أستوعب كيف مر الوقت سريعًا فلم أشعر به.. تقدم يا نورسين اجلس قليلًا لنتحدث.

لم أكن اتوقع منه هذا الطلب أبدًا ولكن لبيتُ طلبه بقبول شديد فأنا أشعر مع هذا الرجل بطمأنينةٍ غريبة على عكس الأميرة تمامًا، كنت أود الاقتراب من هذا الرجل أكثر، كنت أرغب في معرفة من يكون، كانت ملامح الطيبة تبدو على وجهه، ملامح لم أرَها في أي أحد غيره في تلك البلدة.

- أتعلم يا نورسين منذ أن رأيتك وأنا أحاول تذكر هل سبق لي أن رأيتُك في مكان ما من قبل، ولكن لم أستطع تذكر شيء ولكني ما زلت أشعر أنني أعرفك.

- يمكن أن يكون اختلط عليك الأمر بيني وبين أحد آخر غيري مولاي الملك.

- لا أعتقد هذا ولكن دعنا من هذا الأمر الآن.. ماذا عنك أنت؟ هل يضايقك أحد من سكان القصر؟ أعلم أن أرمين في كثير من الأوقات نواياه لا تكون جيدة تجاه الآخرين لذا إن تعرض لك بأي أذى فقط أخبرني وأنا سأضع له حده.

- أشكرك كثيرًا مولاي الملك وتلك الثقة الغالية التي أعطيتها لي لن أنساها أبدًا.

قام بوضع يده على كتفي ونظر إليّ بعينين دافئتين ثم خرج ولحقته.

كان يجلس على مائدة الطعام أرمين وسنيم والرجل المدعو ناي ويترأس المائدة الملك، جلست بجانبه بعد أن أشار إلي.

تحدث ناي وقال: إن اليوم سيكون العشاء هو الوجبات الرئيسية للبلدة، لم أكن على علم بأن هناك وجبات رئيسية للبلدة إطلاقًا فلم تخبرني حوريهان بهذا الأمر من قبل.

بعد قليل من الوقت بدأ الخدم بتقديم الطعام... وعندها صدمت صدمة عمري من الطعام فقد كان عباره عن الأسماك العفنة النيئة ولحوم الخنازير القذرة التي كانت أيضًا نيئة، كانت رائحة الطعام قذرة لدرجة الإغماء، لم أكن أحتمل تلك الرائحة.

جال نظري نحو الملك الذي بدا عليه الثبات الشديد وكأنه لم يتأثر بتلك الرائحة ثم نحو أرمين وسنيم اللذين بدت عليهما السعادة والترحيب الشديد بالأكل.

بدأ الملك بتناول الطعام ثم طلب من كل الموجودين أيضًا البدء، كانوا يأكلون بشراهة غريبة، كان من أكثر المواقف المقززة التي رأيتها في حياتي.

طلب مني الرجل البدء أنا أيضا بالتناول فأرغمت نفسي على تناول ذلك السمك المقزز فلن يمكنني حتى التفكير في أكل لحوم الخنازير، تمنيت حينها لو استمعت ل حوريهان وبقيت بجانبها فقد كان هذا الموقف أسوأ موقف مررت به منذ ولادتي.

بعد الانتهاء من العشاء خرج الجميع إلى حديقة القصر، واتجهت أنا مباشرة إلى المرحاض.. حاولت تفريـغ معدتي من تلك القذارة بكل ما أوتيت من قوة، لم أكتفِ بهذا فقط بل اغتسلت أيضًا وأبدلت ملابسي علني أتخلص من تلك الرائحة ثم بعدها ولجت إلى حيث يوجد الجميع.

كان الملك وناي يتحدثان عن أمور البلدة وعن الفدية التي يجب على الملك تقديمها للمتمردين.

بينما كان أرمين الأبلة يجلس مع ابنة ناي المدعوة (ليتا) في مكان يبعد قليلًا عن طاولة الملك، كانا يضحكان بأصوات عالية ويبدو أن نوايا الأحمق لم تكن جيدة أبدًا فبالطبع إنه رجل ذو ألاعيب لعين.

ذهبت إلى حيث تجلس سنيم فقد كانت تجلس بمفردها شاردة الذهن.. في واقع الأمر تلك الفتاة برغم أنها تكون أخت أرمين ولكن تبدو غيره تمامًا فقد كانت مبتسمة دائمًا لم أرَها تعنف أحد الخدم من قبل على عكس الأحمق أخيها.. كانت إلى حد ما يملأ قلبها الطيبة..

- لمَ لا تجلسين مع أرمين وليتا؟

كان ذلك حديثي لها.. أردت أن أكسر الصمت الذي يسود بيننا.

- أردت الجلوس لوحدي قليلًا ولكن لم أنتبه أنك هنا متى أتيت؟

- منذ قليل حين كنتِ شاردة الذهن، هل يمكنني أن أسأل عن سبب هذا الشرود؟

- دعك مني الآن ماذا عنك أنت؟

- لم أفهم.. ماذا تقصدين؟

- حسنًا يا نورسين، ماذا عن حوريهان؟ أعلم أنك أحببتها، وأعلم أنها عنيدة إلى حد السماء.. ولكن أعلم أيضًا أن أرمين لن يسمح لهذا الحب أن يستمر أكثر من ذلك.

- سنيم، أيمكنك أن تخبريني عن حوريهان قليلًا، فهي بمثابة اللغز بالنسبة لي.. لغزٌ يستحيل عليّ حله، نعم أحببتها.. ولكن متى لا أعرف.

- "حسنًا سأقص عليك أمورًا يمكنها أن تساعدك في حل تلك الألغاز ولو بعض الشيء.

حوريهان تكبرني بقليل من الأعوام.. كنا صديقتين مقربتين، كانت أسراري كلها معها، والبعض من أسرارها كانت معي أيضًا.. دائمًا ما كانت حوريهان المرأة الغامضة القاسية بعض الشيء ولكن كانت رغم كل تلك القسوة تحمل قلبًا يملأه الطيبة والحنان.. كنت ألجأ إليها حين يزعجني أي شيء، كانت تحتضنني كما تحتضن الأم صغيرها في ليلةٍ شديدة البرودة.

قبل عدة أعوام وقعتُ في الغرام مع شخص من سكان هذه البلدة المتمردين ( ديما دانو )، حاولت حوريهان أن تقنعني بالتخلي عن هذا الحب بكل الطرق، ولكن كما يقولون الحب دائمًا

ما يُعمي.. ابتعدت عنها في تلك الفترة وتأثرت علاقتنا كثيرًا استغل أرمين تلك الفرصة وأقنعني أن حوريهان على علاقة بحبيبي وأنها تريد أن أبتعد عنه لذلك.. حينها اشتعلت نار الغيرة بداخلي وأردت الانتقام ولكن كان قد سبقني أرمين وأخبر الأميرة بكل شيء عنده.

غضبت الأميرة غضبًا لم أشهده من قبل، ظهرت قسوتها الحقيقة عندها، وخيرت حوريهان بين أمرين إما أن تتزوج أرمين أو أن تزج في السجن..

حاولت حوريهان بكل الطرق أن تثبت أن هذه التهمة ليست حقيقية ولكنها لم تنجح.. كان هناك شيء واحد سينقذها وهي أن تخبر الأميرة بكل شيء عني ولكنها لم تفعل ذلك، ظلت صامتة واختارت أن تسجن.

عندما علم أرمين قرارها جُن؛ كان يعتقد أنها ستفضل أن تتزوجه بدلًا من أن تسجن ولكنها كعادتها هدمت سقف توقعاته.. اختارت أن تسجن أربعة أعوام وقتل حبيبي أمام عيني وعلمت بعدها أنه هو من كان يحبها ولم أكن أنا سوى وسيلة ليصل إليها ولكنها رفضته.

كانت تحاول أن تردعني عن هذا الحب لأنها كانت تحبني حقًّا لم تكن تود أن أحزن في يوم ولكنني لم أستطع فهمَ كل تلك الأمور إلا بعد أن فات الأوان.

رأت الأميرة أن عامين فقط كافيان فعفت عن حوريهان بعد ذلك.

بعدما خرجت حوريهان من السجن لم تكن هي.. كانت امرأة متمردة، قاسية حد السماء لا يرق لها جفن.. تجبرت وتغيرت ابتعدت عني تمامًا.. حاولت بكل الطرق أن أطلب منها السماح ولكنها رفضت حتى أن تسمعني.

ومع مرور الوقت اكتسبتْ ثقة الأميرة مرة أخرى وأصبحت أقوى من أرمين.

أصبح أرمين يهابها ولم تعد لدية الجرأة في تخطي حدوده معها.

ومن هذا الوقت وحوريهان لم تتغير بل بمرور الأيام تصبح عنيدة وقاسية أكثر وأكثر.

لهذا أقول لك أن تتخلى عن هذا الحب فهي لم تعد تثق في أحد، وأيضًا أرمين لن يستسلم بتلك السهولة يا آسر".

- لا لن أتخلى بل سأتمسك بهذا الحب أكثر؛ أيتخلى المريض عن دوائه؟!

ألقيت كلاماتي عليها وغادرت مباشرة إلى غرفتي..

علمت من البداية أن وراء كل تلك القسوة شيء كبير ولكن لم أتخيل أن يكون بهذه القسوة.. يحق لها أن تكون متعجرفة متمردة قاسية. يحق لها كل هذا وأكثر فلو مر أحد بما مرت به هي حتمًا سيتحطم.

ااااااااه يا حوريهان هل أنت إنسية مثلنا أم ماذا؟!

****

مر الليل سريعًا وحل صباح جديد يحمل معه الكثير من الخبايا.

نهضت من نومي وأعددت نفسي ثم ذهبت مباشرة إلى الملك لمرافقته لتناول الإفطار.

طرقت الباب حتى أذن لي بالدخول.

- صباح الخير مولاي الملك.

- صباح الخير يا نورسين انتظر قليلًا سأستعد وبعدها نخرج لتناول الإفطار.

- حسنًا مولاي الملك أنا في انتظارك خارج الغرفة.. هل تسمح لي؟

- بالطبع تفضل.

خرجت من الغرفة وانتظرت حتى انتهى الملك وبعدها رافقته إلى الحديقة لتناول الطعام ومن ثم خرجنا من القصر جميعًا لتسليم الفدية.

كان من المفترض أن يتم تسليم الفدية في ساحة البلد حيث يجتمع جميع أهالي تلك البلدة لمشاهدة طقوس الاحتفال..

لم أكن أعلم ما هو الاحتفال الذي يقومون به ولكن اعتقدت أنه لن يكون أسوأ من الاحتفال التي تقوم به الأميرة كل عام.. فماذا سيكون أسوأ من ذلك!

استمر طريقنا ما يقرب نصف ساعة حتى وصلنا إلى الساحة.

وبالفعل كان جميع أهالي تلك البلدة مجتمعين حول مجموعة من الأشخاص بدا لي أنهم كالكهنة الذين نراهم في المسلسلات والأفلام المصرية.. كان يرأس هؤلاء الكهنة رجل هرم، أصلع.. بدين بعض الشيء، تقدم إلى الملك أثناء رؤيته ووضع إحدى يديه خلف ظهره ثم انحنى لإلقاء التحية.

ثم بعد القليل من الدقائق أمر الملك أرمين بتقديم العربات التي تحمل الفدية للكهنة ففعل أرمين ذلك..

بدأ بعض الكهنة بتفحص العربات ثم بعد ذلك أخرجوا جميع القطط السوداء البرية ورؤوس الآدميين ووضعوها جميعا في مكان قد خصص لها وكان عبارة عن مكان يعلو بعض الشيء عن أرض الساحة محاصر باللون الأسود على شكل دائرة..

يبدو المكان كما لو أنه مخصص لممارسة طقوس السحر.

ذهب رئيس الكهنة إلى ذلك المكان وجلس في الوسط أمام نيران مشتعلة ثم أخذ من جانبه بإحدى يديه خنجرًا وباليد الأخرى قطة سوداء وبدأ بقول بعض الكلمات الغريبة..............

"عزمت وألهبت وأثنيت عليك يا ملك الجان والشياطين.. بحق الجسد الذي هو نصفان؛ نصف من نار ونصف من ثلج.. بحق إبليس وأعوانه وبحق كل من اتبعوك وامتثلوا لأوامرك.. بحق ظام والأسد المغضوب وزنقط وخربط ابن زخبلية.. وبحق طلمش وعزازير وساروخ ودنهش.. وبحق ناصور وزعزوع وميمون النكاح. تقبل القربان وافتح الأبواب ولكل قط أسود مد بالأعمار.. لك

الولاء والسماع وبقطرات الدماء النجسة تسمع المطلوب وتلبي النداء".

ثم بعد انتهائه من إلقاء تلك التعاويذ ذبح القط فسقطت الدماء على النار فأشعلت لهيبها أكثر، وأخذ أحد الرؤوس الآدمية المقطوعة وغرس الخنجر في أعين الرأس الذي بيده فانتشرت في الأرجاء رائحة عفنة كريهة كرائحة تعفن الكلب الميت.

وثم كرر كل ذلك مرة بعد مرة.. مع كل قط ورأس آدمي آخر كان يفعل ما فعل ويلقي التعويذة نفسها حتى انتهى من جميعها.

بعد انتهائه بقليل من الدقائق حل الصمت بالجميع وانتشرت ضبابة سوداء في المكان حتى فقدت أعيننا القدرة على الرؤية واستمرت تلك الضبابة بضع دقائق ومن ثم بدأت في الاختفاء تدريجيا حتى ظهر ما لم يكن في الحسبان..

سقطت على الأرض من هول ما رأيت وانسدلت جفوني فلم أعد أرى شيئًا حولي ولكنني كنت أسمع أصواتهم وهم يقولون.. فليحيا لوسيفر.. فليحيا لوسيفر.

كان عقلي يرفض تصديق ما رأت عيناي قبل قليل، تسارعت أنفاسي وتسارعت معها نبضات قلبي، هربت الدماء من جسدي استمررت هكذا قرابة عشر دقائق حتى وقعت يدي بحركة لا إرادية على السلسال الذي يحمله عنقي فاندفعت الدماء الهاربة من جسدي وبدأت الجفون ترفع ستارها عن عيني وعندها رأيت كل شيء كان قد اختفى.

بدأ الجميع بمراسم الاحتفال التي لم تكن هي الأخرى بالقليلة.. نهضت على قدمي مرة أخرى وعزمت على الرجوع للقصر هربًا من كل ما رأته عيناي قبل قليل ولحسن حظي كان الملك أيضًا يريد العودة فعدنا جميعًا إلى القصر لقضاء آخر ليلة في هذا الجحيم.

****

في منتصف الليل وحيث كان السكون يعم أرجاء القصر خرجت من غرفتي إلى حديقة القصر لأستنشق بعض الهواء عله يساعدني في التخلص من كل ما قد مضى ويهدئ من روعي قليلًا.

جلست على الحشائش الخضراء التي تملأ الحديقة وتوجهت عيناي لتتطلع إلى القمر الذي كان يملأ السماء في بدره تمامًا فتذكرت حوريتي التي لم تكن تفارقني أبدًا منذ مجيئي.

ترى كيف حالها؟! ماذا تفعل؟

هل تُرى هي في خلوتها الآن مع القمر كما كانت تفعل كل ليلة..

اشتقت لرحيق عطرها الذي كان وما زال يسحرني، اشتقت لبريق عينيها حتى إنني اشتقت لعجرفتها.. ترى هل اشتاقت هي أيضًا لي؟!

تحسست السلسال الذي أعطته لي وتذكرت كيف كان هو الحامي لي اليوم.. صممتْ يومها أن تعطيه لي؛ كانت تعلم أنني سأشاهد ما لا يمكن أن يحتمله بشري.. ليتك معي الآن فأخبركِ

بكل ما بداخلي، يمكنني أن أذهب معكِ إلى الجحيم إن أردتِ يمكنني أن أتخلى عن كل شيء لأبقى معكِ ليتك تعرفين هذا يا حوريتي.

بعد مرور القليل من الوقت الذي لم أستطع تحديده شعرت بالبرودة تلفح جسدي فقررت الذهاب إلى غرفتي والنوم.

كنت عائدًا إلى غرفتي ولكن سمعت صوتًا قادمًا من غرفة سنيم.. كأنها كانت تتحدث مع شخص ما.. أصوات الضحك تصل إلى أذني.

توجهت إلى غرفتها ثم فتحت باب الغرفة ببطء شديد ووجدتها هي وأرمين!

كانت هي وأرمين يمارسان الرذيلة!

مرت دقيقة.. اثنان.. ثلاثة ولم أستطع استيعاب ما أرى.

أغلقت باب الغرفة ببطء وغادرت سريعًا إلى غرفتي.. لم أستطع النوم احتلت التساؤلات عقلي مرة أخرى..

ماذا رأيت قبل قليل؟

كيف لإخوة أن يفعلوا هكذا؟!

ألم يكن هذا أرمين الذي يحب حوريهان؟ لو كان يفعل ذلك الفعل القذر مع امرأة أخرى لكنت تقبلت الأمر ولكنها سنيم! أخته.

كيف لها أن تفعل هي ذلك؟ كيف؟!

وماذا عن حوريهان؟!

كل شيء أراه في تلك البلدة يستحيل أن يكون طبيعيًّا

ماذا لو كانت مثلهم؟!

هل يحتمل عقلي تلك الحقيقة حينها؟!

ماذا لو كنت أحلم؟!

تساؤلات كثيرة لا جواب لها سوى شيء واحد، مهما كانت الحقائق لا توجد حقيقة واحدة سوى حبي لها.

استمررت في التفكير حتى حل الصباح وكان من المفترض أن نعود اليوم إلى القصر.

****

*** حوريهان ***

أنا حوريهان إحدى النساء التي خضع لها أقوى الرجال.. لم يمنعها أحد أن تحقق ما تريده يومًا... أنا المرأة القوية المتميزة صاحبة الجمال البراق... أنا امرأة حصلت على كل ما تريده.. أنا صاحبة العشق الممنوع.... أنا التي حفرت اسمها في قلوب أعظم الرجال.

أعجبت بكَ يوما من الأيام... أحببتني.. فعشقتك.....

ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان كنت أعتقد أنني المرأة القوية المتسلطة صاحبة القلب الجاف تأخذ ما تريد دون أن تخضع له.. ولكنكَ حطمت حُصوني، أجبرت القلب أن يتخطى كل القوانين التي رسمت له من قبل.. فوقع في عشقك..

العشق الملعون الذي لن يكتب له أن يحيا يومًا من الأيام..

كنت أسير طريق أعلم أنه ملعون ولكنه كان يروق لي.. كان اختياري.. حتى أتيت أنت فوقعت في عشقٍ لم أعهده من قبل..

عشق يجبرني على الرحيل.

أردتك كما لم أرد أحدًا من قبل..

تمنيت قربك وبشدة كما لم ترغب أنتَ في ذلك.

كانت ستشهد الأيام اكتمال الطريق الذي رسمته لي ولكنكَ محوت كل ما رسمته ولم تترك حتى ولو نقطة أستطيع أن أبدأ بها من جديد.

أنا حوريهان ولأول مرة بعد أعوام قررت أن أضع النهاية الحتمية للطريق الذي أسيره.

قررت التخلي.. ولأول مرة سأفعل ما لم أفعله من قبل في يوم من الأيام.

سأتخلى عن هذا العشق.. سأحميك من كل شيء حتى من نفسي أيها الآسر..

لن أسمح لمكروه أن يصيبك.. نعم أحببتُك وخضع قلبي لأعلى مراحل العشق فكيف لي أن أُؤذيك!!!

إن كنت سأبقى في قلبك فلتبقَ ذكراي جميلة لا يعكر صفو جمالها شيء.. لن ترحل بمفردك كما أتيت بل سترحل مع عشقي....

أعترف أيها الآسر ولأول مرة أنني عشقتك وتنازلت لأول مرة عن هذا العشق الملعون.

****

عدنا إلى القصر وكانت حوريتي في انتظارنا، نزلتُ من العربة وتوجهت إليها سريعًا..

تخطيت الجميع حتى وصلت إليها لم أعر لنظرات أي منهم الاهتمام فقط كنت Hسير وراء قلبي

شعور الاشتياق لها كان يفوق قدراتي..

وصلت إليها.. فتحادثت أعيننا وصمتت أفواهنا لدقائق أو ربما لساعات لا أعلم كل ما أعلمه أنني كنت ألبي نداء قلبٍ تلاقى مع معشوقه بعد بُعد.

كانت هي الأخرى ولأول مرة تنظر إليّ وتصمت..

أطلت النظر إليها فبادلتني دون إبداء أي اعتراض..

- حمدًا لله على سلامتك أيها الآسر.

كانت هي.. نعم كانت حوريهان من حمدت الله على سلامتي.. تحادثت معي لأول مرة برقة، لم أعد أرغب في أكثر من ذلك منها ابتسمت لها وغادرت سريعًا..

أردت أن تبقى تلك آخر كلماتها، لم أرد المجازفة معها أكثر فلا يمكنني أن أتوقع أن الكلمات التالية ستكون مشابهة.

دخلت غرفتي ولم أخرج منها حتى حل الليل.. وكعادتي أقضي نصف الليل مراقبة لتلك الحورية التي خطفت قلبي من جديد وتربعت على عرشه حتى حان موعد صلاة الفجر قمت لأصلي،

ولكن فجأة سمعت صوت حوريهان تتحدث مع أرمين بصوت عالٍ بعض الشيء فانتبهت أنني قد نسيت إغلاق باب الغرفة.

- ماذا تفعل لمنتصف الليل يا أرمين؟

- لا شيء عزيزتي حوريهان فقط رأيتك من نافذة غرفتي مستيقظة فقررت أن أذهب إليكِ لأتغزل بجميلتي.

- قلت لك مرارًا يا أبله ابتعد عني.

- وأنا قلت لكِ يا عزيزتي أن لا أحد سيمتلككِ غيري.

ألقي كلماته اللاذعة التي وددت حينها لو أحرقته حيًّا لتغزله بها ثم غادر.

دخلت هي إلى غرفتي بعدها..........

- كم مرة كنت قد نبهتك من أن تغلق غرفتك جيدًا حتى لا يراك أحد في أثناء صلاتك.

- أعتذر كثيرًا فلقد لهيت ونسيت إغلاقها وأعدك أن هذا الأمر لن يتكرر مجددًا يا حور القلب.

- حور القلب! آسر بدأت تتجاوز كثيرًا انتبه لحديثك معي. كما أتعلم أنه لو استطاع أحد ممن في القصر أو حتى خارجه أن يعلم أنك مسلم وتصلي ماذا سيحل بك حينها! من الأفضل لك حتى أن لا تتخيل.

غادرت بعدما أنهت حديثها وإلقاء أوامرها كالعادة ولكن هذه المرة قررت الذهاب إلى غرفتها والحديث معها.

وفي أثناء ذهابي وجدت إضاءة غريبة من غرفة الأميرة التي قد حذرتني حوريهان من الاقتراب منها مرارًا، ولكن فضولي الشديد منعني من إطاعة أوامرها هذه المرة وذهبت إلى غرفتها ولكن صدمت عيناي حقًّا لما رأيت!

كاد توازني أن يختل حينها لما رأيته ولكن لحقتني حوريهان وأخذتني مباشرة إلى غرفتها.

- ماذا فعلت؟ أتعلم أنه إذا استطاعت الأميرة رؤيتك كانت ستقتلك حينها بدماء باردة، ولن تفكر ولو للحظة في الرجوع!

تمر الدقائق وأنا غير قادر على النطق بأي كلمة؛ العجز حل بلساني، عيناي تحدق في سقف الغرفة من لوعة ما رأيته، أنفاسي تتسارع، دقات قلبي قد أوشكت على التوقف من سرعتها، عقلي لا يستطيع أن يجمع أي شيء مما رأى منذ قليل!

فكان ما رأيته حقًّا يذهب الأنفاس..............

- إنها من الجن؟

كان ذلك أول ما نطقت به.

نعم أنا رأيتها ورأيت ما كانت تفعله، وجهها كان مرعبًا إلى حد كبير، كل شيء بها كان مخيفًا إلى حد جنوني.

- "حسنًا سأقص عليك الآن كل شيء أيها الآسر.

هذه البلدة يملكها الجان أو بالأصح عشاق الإنس من الجان، تلك البلدة تحكمها الأميرة أيلن وهي من الجن، ترجع البلدة إلى والدها (أكرين) الذي عشق حينها امرأة من الإنس وأحبها لدرجة الجنون فاستعمل كل قوته للحصول عليها وأنشأ هذه البلدة في القرن السابع عشر أسس تلك الدولة ولحق به كل عاشق لإنسي..... هنا يعيش الكثير من الإنس، الجن لديه السيطرة الكاملة عليهم، يستعملون الدمي التي رأيتها بإقامة بعد الطقوس الخاصة عليها ليستمروا في السيطرة على الإنس، والطفل الذي تقطع رأسه كل احتفال يكون ناتجًا لتزاوج أحد الجان مع الإنس ويقدم قربانًا لإبليس اللعين حتى تستمر البلدة قائمة، ويجب على الجن أن يخفوا حقيقتهم الكاملة تجاه أي إنسي يعيش معهم في تلك البلدة حتى تستمر السيطرة على عقولهم.

- وأنتِ؟! من أنتِ؟

- أنا حور، منذ خمسة عشر عامًا كنت أعيش في أحد البلاد الخاصة بعالم الإنس لا أذكر المكان بالتحديد ولكن اختطفت من قبل أيلن لأنها اكتشفت قدرتي على استعمال السحر حيث ترجع أصولي إلى أحد أعظم السحرة في عصر الفراعنة.

أرادت أن أكون قريبة منها بعد أن علمت أنني آخر السحرة الموجودين من عصر الفراعنة، وتستخدمني للسيطرة على بعض عقول الأشخاص فبسهولة أستطيع فعل ذلك لقوة سحري.

عندما أتيتُ إلى هنا أرادت أن تسيطر عليّ لكن لم تستطع أن تتحكم في عقلي.

حاولت الهرب مرارا ولكن في كل مرة كنت أفشل، فاستسلمت لواقعي وقررت أن أجعلها تثق في.

علمتني الكتابة الفرعونية ورفضت أن تعلمني الكتابة بالعربية، لذلك الرسالة التي أعطيتها لك كانت بالفرعونية ولكني تحكمت في عقلك حينها حتى تستطيع قراءتها.

في كل مرحلة كنت تجتازها كنت أنا من يساعدك لتخطيها.

أما الحلم الذي حلمته بأيلن فلم يكن بإمكاني سوى هذا الحل حتى أجعلك تأتي، استخدمت صورتها وقمت ببعض الألعاب في عقلك الباطن وها قد نجح الأمر وأتيت إلى هنا أيها الآسر.

- يعني أنتِ أيضا من الجن؟

- لا أيها الآسر أنا إنسية مثلُكَ تمامًا ولكن تلك القدرات التي أمتلكها لأن أصلي يرجع إلى أحد السحرة الأقوياء في العصر الفرعوني.

- والملك؟ هو أيضا من الجن؟

- الملك يكون أباك أيها الآسر.

صمتٌ رهيب حل بالغرفة، تمر الثواني فتتبعها الدقائق.. تتسارع أنفاسي.. حل على وجهي شعور الصدمة.. يرفض عقلي الاستيعاب.

- والدي! ماذا تتفوهين أنتِ؟ والدي قد توفي منذ عشرين عامًا.

- لقد عشقت إيلن أباك واستطاعت أخذه معها والسيطرة عليه لهذا السبب اخترتك أنتَ دون الجميع.

- إذًا فالشعور الذي كنت أشعر به عندما أراه كان حقيقيًّا لم يكن وهمًا كما اعتقدت، فهو حقًّا والدي!

- حسنًا ولمَ أنا تحديدًا؟ لمَ لم تستعيني بأحد آخر غيري؟

- لأنك ابن الملك وهذه البلدة لن تنتهي إلا بتحرير الملك من سيطرة أيلن وعودته إلى موطنه سالمًا وهكذا ستنتهي سيطرة أيلن.

- حسنًا وأنتِ؟

- أنا أيضا مسلمة أيها الآسر وعلينا الآن أن نستعد لتنفيذ الخطة حتى تنتهي سيطرة الجن على الإنس وينتهي عشق الجن للإنس للأبد.

- ولكن ماذا يجب عليّ الآن فعله؟ ما هي الخطوة القادمة؟

- أهم شيء قبل أي خطوة أن تحافظ على طاقتك أيها الآسر حتى لا تموت؛ لن أستطيع حمايتك دائمًا وعليك الحذر من أرمين لأنه ليس بالسهولة التي تعتقدها.

- ولكن أرمين يعشقكِ.

- أرمين من الجان يا آسر ولو استطاع لكان الآن مسيطرًا علي، إنه يحاول بكل طريقة ممكنة لكن لا تقلق لن يستطيع أن يسيطر علي.

- ولكن هناك شيء غريب لا أستطيع فهمه أيوجد من الجن "مثليين"؟!

- يا آسر عالم الجان مشابه تمامًا لعالم الإنس، ولكن كل شيء هنا مباح وهذه البلدة تعبد الشيطان، هؤلاء هم الكفرة من الجان فمن الطبيعي أن يكون كل هذا مباحًا بالنسبة لهم وأكثر مما تظن أيضًا. ويستخدمون الطاقة حتى يطول عمرهم وعمر الجان من الأساس طويل جدا، فالأميرة أيلن تحيا من القرن السابع عشر.

- ولمَ لا يرتدون كما نرتدي الآن في عالمنا؟ لمَ يلتزمون بارتداء نفس زي القرن السابع عشر؟ وكل شيء موجود تمامًا كما كان في ذلك القرن لم يتغير منه أي شيء.

- لقد أخبرتك من قبل أن أول من عشق من الإنس كان أكرين والد أيلن وكان ذلك في أيام القرن السابع عشر وحتى يستمروا في التذكر أنه من كان السبب في وجود هذه البلدة التزموا بكل شيء كان في القرن السابع عشر.

- وماذا عن أرمين وسنيم؟! فلقد رأيتهما معًا!

- إنهما من الجان الذي لا تحكمه أية قوانين أيها الآسر.. هم يفعلون ما يرغبون فيه دون أن يمنعهم أحد. هكذا أكون قد أوضحت لك كل شيء ولم يبقَ أمامك أي لغز. هيا أيها الآسر عد إلى غرفتك حتى لا يشك بك أحد.

عدت إلى غرفتي من جديد أحاول أن أستوعب كل ما حدث، أحاول جاهدًا استيعاب كل تلك الحقائق.

أيعقل أن يكون أبي حقًّا حيًّا؟!

أبي الذي طالما تمنيت يومًا لو ألتقي به، لو أريه بعضًا من نجاحاتي، لو أحضنه في أثناء آلامي فيختفي ما بداخلي من حزن.

عشرون عامًا أعيش أنا وجدي، هو كل ما أملك، وأنا كل ما يملكه.

عشرون عامًا تمنيت فيها أن يكون أبي حيًّا.

عشرون عامًا وأنا متيقن أن أبي لم يعد حيًّا؟

كيف يعقل هذا؟!

وبعد كل هذا هل سأستطيع أن أعود بأبي إلى عالمنا من جديد؟

وما هو التبرير الذي سأبرره للجميع وأولهم جدي؟!

أيمكنني أن أقص عليهم كل ما حدث؟

هل سيصدقني أحد أم سيقولون عني مجنونًا؟

وحور!.........

أخسر حبي من جديد؟

ألم يكتب عليّ الفوز بالحب يومًا؟

أترى هل تحبني هي الأخرى، أتبادلني نفس المشاعر أم أنني سأتحمل مرارة الفقد مرتين؟

كان عقلي سيجن من كثرة الأفكار والحقائق التي لم تخطر على عقلي يومًا أنها موجودة من الأساس.

ها أنا قررت الاستسلام للنوم عله يكون كل هذا كابوسًا وأستيقظ منه في الصباح.

خرجت من غرفتي إلى الحديقة مباشرة عندما رأيتها تقف مع أرمين ذاك الأبله تنهشني الغيرة حين أراه قريبا منها ولكن ليس بإمكاني فعل شيء. ولكن مهلًا إن سنيم أيضًا معهما إذًا لا مانع من المرح قليلًا.

- صباح الخير للجميع، صباح الخير سنيم تبدين رائعة اليوم وفستانك يجذب الأنظار حقا.

- صباح النور يا نورسين.

قالتها سنيم مع ابتسامة جميلة تعلن عن ترحيبها بالإطراء.....

أما الأبله فاكتفى بإلقاء بعض نظرات الاستهزاء عليّ، ولكن كانت هناك نظرات أخرى حارقة انتبهت لها الآن نظرات أسد سيفتك بفريسته بعد قليل والغريب في الأمر أنها كانت من حوريهان أيعقل أن تكون قد نجحت خطتي! من المؤكد أنها نجحت فحتى إن لم تتفوه هي بأي كلمة فقد تحدثت عيناها بالكثير........ اااااااااااه يا حوريهان وددت حينها لو توقفت أمام الجميع واعترفت لك بعشقي.

- حوريهان عزيزتي عليكِ أن تجهزي نفسك في الثانية عشر سأنتظرك في ساحة القصر للخروج إلى سوق البلدة لقد سمحت

لي الأميرة أن نذهب معا ولا يمكنكِ الرفض يا عزيزتي فستغضب الأميرة كثيرًا كما تعلمين.

كان ذلك صوت أرمين الأبله..

- كيف بإمكانك فعل هذا دون سؤالي؟

- يمكنني فعل كل شيء عزيزتي.......

- حسنًا موافقة ولكن بشرط أن يرافقنا نورسين.

- مهلًا ماذا تقولين؟ لا أسمح بذلك ولمَ سيرافقنا ذلك الحارس؟

- هذا شرطي لن أرافقك دون مرافقة نورسين وتعلم أيضًا أن بإمكاني فعل أي شيء، يجعل الملكة توافق على عدم ذهابي معك في أي مكان.

- حسنًا موافق هيا تجهز أيها الأحمق فهناك الكثير ينتظرك.

ألقى كلماته اللاذعة وغادر تاركنا بمفردنا.

- لماذا قررتِ أن أرافقكما؟ هل بدأتِ في عشقي أم ماذا هناك؟ ولكن أتعلمين أنا أعرف من الأساس أنكِ تبادلينني نفس الشعور.

- اخرس يا آسر.

- إذًا فمن المؤكد أنكِ تحبينني.

- لا ولكن لا أستطيع تركك مع الأميرة بمفردك أفهمت؟

- الأميرة أم سنيم؟ ولكن إن كان حديثك هذا صحيحًا فهذا يعني قلقكِ علي فمرحبًا بوقوعكِ في غرامي أيتها الفاتنة.

- لم يكذب أرمين عندما وصفك بالأحمق.

ألقت كلماتها وغادرت مباشرة كالعادة، تلك المرأة حتمًا ستفقدني عقلي قريبا، ولكن يروق لي هذا كثيرًا.

خرجت من غرفتي في الثانية عشر ووجدت الأبله منتظرًا في ساحة القصر حتى ظهرت هي كأول مرة أراها بفستانها الوردي الذي يعطيها بريقًا خاصًا..

جمال من نوع آخر لم أعهده من قبل كأنني أول مرة أرى فيها امرأة.

قطع شرودي حديث الأبله لحوريهان ومغازلته لها:

- تبدين جميلة جدًّا عزيزتي حوريهان.

- شكرا لك أرمين، يكفي، هيا بنا نذهب هيا يا نورسين.

اقتربت منها حتى همست لها وقلت

- تبدين حقًّا جميلة.

- وأنت أيضًا أيها الأسر.

ماذا هل كان ما سمعته صحيحًا أم أنني أهلوس؟

هل قالت حقًّا ذلك؟ أيعقل أن تكون تلك الكلمات خارجة من فم المتعجرفة لا أصدق.

وصلنا إلى سوق البلدة، كانت مملوءة بالناس ثم توقفنا عند أحد المحلات التجارية وقام أرمين بشراء قلادة جميلة لحوريهان وباهظة الثمن أيضا.

- نورسين ألن تشتري شيئا لحوريهان؟

كان هذا حديث أرمين لي فهممت سريعًا بالرد ولكن كانت حوريهان قد سبقتني.

- أرمين أنا لا أريد شيئا توقف، ونورسين لن يشتري أي شيء.

- لمَ يا عزيزتي اتركيه يشتري لكِ، أم أنه لا يستطيع؟

- قلت لك توقف أرمين.

أردت أنا أيضًا شراء شيء لها.. وددت أن تكون هديتي كذكرى بيننا كلما رأتها تذكرتني لذلك هممت سريعًا بطلب قلادة من البائع قد أعجبتني.

- أيها البائع أعطني تلك القلادة.

- نورسين توقف إنها باهظة الثمن.

- ولكن تعجبني وأود أن أهديها لكِ.

- ستفقد الكثير من طاقتك؛ لا تفعل.

- يكفيني قلقك علي أيتها الحورية، لا تقلقي.

قمت بشرائها وشعرت كأن أنفاسي تتباطأ وثقل رأسي..

شعرت بدوار شديد أعتقد أني فقدت الكثير حقًّا من طاقتي ولكن سرعان ما تماسكت حتى لا يستهزئ بي أرمين.

- أتسمحين لي أن أجعلك ترتدينها؟

- نعم يا نورسين أسمح لك بالطبع.

قمت بمساعدتها لارتدائها وبالرغم من جمال القلادة إلا أنها ازدادت جمالًا عند ارتدائها.

لا أعرف كيف أراها جميلة بكل هذا القدر؟ أم أنه الحب من يجعل المحبوب يفوق جمالًا فوق جماله فللحب أمور عجيبة لا يستطيع أحد تفسيرها.

عدت إلى غرفتي قابعًا في سريري، فآلام جسدي تجعلني أعجز حتى عن الوقوف وبينما أنا غارق في الآلام وجدتها تفتح الغرفة وتدخل لتقف أمامي.

- لماذا فعلت هذا أيها الآسر؟

- كنت أريد أن أهديكِ شيئًا عله يُخلد في ذكراكِ.

- يكفي أيها الآسر ألا تعلم أن هذا الأمر كان من الممكن أن يؤدي بحياتك؟!

- لقد أحببتك يا حوريهان والمحب هو أكثر شخص مجنون في هذ الكوكب.

- كف يا آسر عن هذا ليس عليك أن تحبني.

- لماذا غير مسموح لي بحبك.. وضحي لي؟!

- أنت هنا لتعود بوالدك وفقط.

- ولكنني أحببتك ولست على استعداد أبدًا لخسارتكِ.

- لقد جلبت لك بعض الفاكهة التي بالتأكيد ستساعدك لتسترد جزءًا من طاقتك سريعًا. في نهاية هذا الأسبوع ستخرج الأميرة خارج القصر بمفردها، وسيبقى الملك في القصر وهذا هو الوقت المناسب حتى تعود إلى موطنك مع والدك.

- وأنتِ؟

- على أن أحرص على مراقبة القصر وأشغل أرمين عما ستفعله.

- لا لن أعود بمفردي، لن أتركك.

- لا أيها الآسر عليك العودة لا تقلق بمجرد عودتك مع والدك.. سينتهي كل شيء في هذه البلدة وبإمكاني عندها أن أعود أنا أيضًا.

- وأنا أخبرتكِ أنني لن أتركك وأعود بمفردي ولن أتنازل عن قراري مهما كان الأمر.

- عليك أن تفهمني أيها الآسر.

- لن أفهم وهذا قراري النهائي.

- ماذا لو كان عشقك لي سيحملك الكثير؟!

- سأحتمل.

- ماذا لو كان المقابل أن تتخلى عن حياتك الماضية كلها؟

- سأتخلى.

- ماذا لو كنت أكذب عليك بشيء لا يمكن الغفران فيه؟

- سأغفر.. سأعفو.. المحب يفعل الكثير فما بالكِ بعاشق متيم سلب منه قلبه؟!

- وماذا لو كنت أحبك حقًّا؟

- عندها ستمر بي الثواني كأعوام.. سيبتسم القلب وتتراقص أوردته فرحًا.. ستقرع طبول النجاة وتصبح فصول العام جميعها ربيعًا.. فكيف لا وأنتِ التي هام الفؤاد بحبها.. سينسى الحزن وتصبح الأيام مملوءة بالسعادة إلى....

- إلى ماذا؟!

- إلى أن يحقق القدر مراده فيسرق أحدنا.. وحده الموت من سيضع نهاية تلك السعادة ولكنه لن ينهي هذا العشق.

- ماذا؟ ماذا لو كان هذا العشق ملعونًا في الأرض والسماء؟

- عندها فقط.......

- فقط ماذا أيها الآسر؟

- عندها سيكتب على قلبي موته المحتم!

لم أكن أتوقع هذا السؤال منها أبدًا؛ ماذا تعني بالعشق الملعون؟

استمرت في النظر إلى عيني لثوانٍ معدودة لم أستطع فيها قراءة عينيها، لم أفهم من نظراتها أي شيء.

كانت عيناها مجردة من كل شيء لم تتركني في ألغازي كثيرًا، ألقت عليّ آخر كلماتها وغادرت دون حتى أن تتنظر ردي.

- تصبح على خير أيها الأسر.

****

مر يومان حتى استطعت أن أسترد جزءًا من طاقتي، فتحت نافذة غرفتي فليومين لم أرَ فيهما حتى طيفها وكنت متيقنًا أنني سأراها كالعادة تنظر إلى القمر بنفس اللهفة في عينيها.

عدت إلى سريري تحتلني الأفكار، كيف سأفسر لهم كل ما حدث كيف؟ ولكن ما يهمني أنني سأعود بأبي وحبيبتي.

ها قد جاء اليوم يوم نهاية كل هذا الكابوس.

- مستعد أيها الآسر؟ ستخرج الأميرة بعد ساعة من الآن وسيكون الملك في غرفته، هيا جهز نفسك أنت الآخر وأنا أيضا سأكون قد أعددت نفسي.

- ولكن كيف؟ هل سيوافق الملك أن يذهب معنا؟

سأتلاعب بعقله قليلًا لا تقلق فبإمكاني فعل هذا والسيطرة على عقله، عندما تكون الأميرة بعيدة عنه.

- حسنًا وعندما نعود بمجرد ما يخرج الملك من هذه البلدة ماذا سيحدث في عقله، أسيتذكر شيئا من ما مضي في العشرين عامًا؟

- سأمحيها من عقله لا تقلق لن يتذكر منها أي شيء.

بعد مرور ساعة كانت قد غادرت الأميرة من القصر ولم يبقَ سوى أرمين والملك وحور.

خرجت من غرفتي متجها إلى الطابق الثاني وولجت إلى غرفة حوريهان:

- هيا يا حور

- هيا أيها الآسر افتح غرفة الملك وأخبره أن عليه أن يأتي معك، وأنا سأراقب أرمين حتى تخرج.

- حسنًا.... وماذا بعد أن نخرج من القصر؟

- لا تقلق أنا قد خططت لكل شيء.. هيا سريعًا لا يوجد لدينا وقت.

ولجت سريعًا إلى غرفة الملك، كان مغيبًا تمامًا عن الواقع، بإمكانه فعل أي شيء يمكن لأحد أن يطلبه، عانقته عناقًا وددت لو أشعر به منذ زمن، إنه عناق الحرمان لعشرين عامًا.

كان هناك شعور خاص؛ شعور بالدفء والطمأنينة الأهم أنه كان شعورًا يفوق الروعة.

خرجت أنا وهو سريعًا من الغرفة وكانت تنتظرنا حوريهان، ثم نزلنا سريعا إلى قبو يوجد داخل القصر.

- إلى أين يا آسر؟

- أرمين!

- لم أعلم أنكِ بلهاء إلى هذا الحد عزيزتي حوريهان أتظنين أن بإمكانك الاستهزاء بي كما فعلتِ بالأميرة.

- آسر، هيا يا آسر، خذ الملك سريعًا وغادر أهم شيء أن عليك الخروج من القبو هيا بسرعة.

كان هذا حديث حوريهان لي.

- لن أترككِ وأذهب.

- كف عن كل هذا الهراء.

- لا تقلق لن يستطيع أحد الخروج وأنتِ من اليوم ستكونين ملكي يا عزيزتي.

ألقى أرمين تلك الكلمات ثم سرعان ما أخرج خنجرًا غريب الشكل ثم اقترب مني.

- تعلمين يا عزيزتي أنني سأسعد كثيرًا بقتله، سأقتل ذلك الإنسي اللعين أمام مرآى عينيك، سأحرق قلبكِ على عشقكِ له فأنتِ ملكي وحدي. ملك أرمين أتفهمين؟!

- لا توقفه يا أرمين أرجوك سأفعل أي شيء تطلبه لكن اتركه.

- أود حقًّا أن أشكر العشق الذي جعلك يومًا تتذللين لي ولكن قد فات الأوان.

ثم طعنني في صدري حتى سقطت دمائي وصرخت حوريهان، هويت أرضا فقدمي عجزت عن حملي أكثر من ذلك.

- لن أسمح لك يا أرمين بذلك لن أسمح.

قالتها حوريهان لأرمين قبل أن تغرس خنجرًا كانت قد أعطته لي من قبل في عنق أرمين الذي هوى أرضًا هو الآخر. بعد أن تخشب جسده ثم اقتربت مني.

- أيها الآسر ستعيش وعليك أن تأخذ والدك وتخرج من هذا القبو.

لم أستطع التفوه بأي كلمة، أتتذكر عندما قلت لك إن هناك حالة واحدة يمكن لأي شخص أن يعطي طاقته للشخص الآخر في غير عمليات الشراء؟

أبعدت يدي عنها بكل ما أوتيت من قوة فلا أستطيع خسارتها فموتي أهون علي، ولكنها اقتربت مني أكثر ووضعت يدها على يدي وكأنها تلقي عليّ تحية الوداع ثم احتضنت يدي بكل قوة وهوت أرضًا بجانبي.

****

أين أنا؟

غرفة زرقاء كغرف المشفى، أسمع تلاوة من القرءان قريبة من أذني.. بجانبي امرأة تبكي على يدي.. محاليل تسري في كامل جسدي.

- حوريهان، أين حوريهان وأبي؟ أين هما؟

- آسر، أنت فوقت يا آسر فوقت يا حبيبي أخيرًا الحمد لله يا رب ألف حمد وشكر ليك يا رب، أنا كنت متأكدة إنك هترجع تاني والله.

- مرام! أنتِ بتعملي إيه هنا؟ أنا فين؟

- أنا مراتك يا آسر، طبيعي أفضل جنبك لحد ما تفوق مقدرتش أبعد عنك، أنا كنت على طول جنبك بدعي ربنا ترجع لي تاني ما لك يا قلبي أنت بقالك شهور في غيبوبة، عارف أنا كل يوم كان بيعدي عليا كنت بموت فيه بس كنت متأكدة إنك هترجع.. ياسين هيفرح قوي وجدك كمان يا آسر أنا هروح أقولهم وارجع حالًا مش هتأخر يا حبيبي.

ماذا يحدث؟

كيف لهذا أن يحدث؟

أين حوريهان وأبي؟

وكيف لمرام أن تكون زوجتي؟

ألم تتركني وتتزوج من غيري؟

كيف هذا؟

من المؤكد أنني أحلم!

- آسر حمدا لله على السلامة يا بطل دا كله يا آسر كدا تقلق صاحب عمرك يا آسر.

- ياسين!، إيه اللي حصل حد يحكي لي حاجة أنا مش فاهم حاجة!

نظر الجميع إليّ قليلًا حتى تحدث ياسين وبدأ بسرد كل ما حدث:

- "قبل ما تدخل غيبوبة بشهر كنت بتقرأ كتاب غريب، وكنت رافض إن أي حد غيرك يلمسه حتى مرام وجدك ومن ساعتها وأنت بقيت على طول بتقعد في الأوضة لوحدك من غير أي نور آخر فترة كنت غريب قوي فيها.. لحد ما في يوم مرام دخلت عليك لقتك حاضن الكتاب ومغيب تماما اتخضت جدا عليك، اتصلت بيا ساعتها وجتلك وعرفنا ساعتها إنك دخلت غيبوبة، الأطباء ملقوش أي سبب جسدي يخليك تدخل في غيبوبة ما كنش حد عارف أي حاجة.

- الكتاب؟ فين الكتاب اللي كنت بقرأه حد يجيبهولي دلوقتي؟

- أهو يا آسر الكتاب إتفضل.

أعطاني ياسين الكتاب فأخذته منه سريعًا وصدمت من اسمه؛ لم أستوعب أي شيء، كيف يعقل هذا؟

فلقد كان بعنوان..

(حوريهان )!

فتحت الكتاب بلهفة شديدة لعلني أفهم أي شيء يحدث ووقعت يدي على إحدى صفحات الكتاب والتي قد كتب فيها.

****

"حوريهان إحدى نساء الجان وعشاق الإنس.. تسيطر بشكل كلي على معشوقها الإنسي بالتلاعب في عقله وتصور له أشياء غير موجودة حتى تجعله يقع في حبها فتستولي عليه كليًّا، كتب ذلك الكتاب أحد الرجال الذي قد سيطرت سابقا عليه ولكنه استطاع أن يتحرر من عشقها له".

****

٢٠٤٠

مر بي العمر سريعًا قابعًا في ظلام غرفتي بمفردي أتفحص ذلك الكتاب للمرة المائة أعيد قراءته كل مرة بلهفة شديدة علني أراها من جديد، أو حتى أستطيع سماع صوتها، أشتاق لحديثها معي أشتاق لسماع اسمي منها، كانت وما زالت تأخذ قلبي بندائها لي، حتى أنني أشتاق لعجرفتها!......

(أيها الآسر) ولكنها هي من أسرتني في عشقها

أكانت من الإنس أم من الجان ولكني وقعت في مصيدة عشقها.. ملأ الشيب رأسي واحتلت التجاعيد وجهي وما زالت دقات قلبي تنبض بعشقها، لا أستطيع حتى الآن تصديق كل ما حدث، أتمنى لو أنني لم يكن لدي في الماضي ذلك الهوس الذي جعلني أقرأ الكثير من الكتب عن الجان مرورًا بذلك الكتاب ولكن في ذات الوقت أسعد لقراءته لأنني التقيت بها.

ثلاثون عامًا ولم أتوانَ يومًا عن حُبها.

ثلاثون عامًا أتمنى في كل ليلة لو أستطيع رؤيتها.

اعتزلتُ جميع الكتب سوى كتابها..

ما زلت أقرأ اسمها في صفحات الكتاب بلهفة شديدة

ما زلت أتذكر كل شيء حدث بيننا

هي لم تعشقني.. ولم يكن عشق جن لإنسي بل كان عشق إنس لجنية أو حورية لا يعلم عنها أي شيء.

تحاملت على عكازي ونهضت من سريري لأقف أمام المرآة فقد كان هناك شيء يجذبني إليها.

أردت أن أرى إلى أي حالٍ وصلت بعد مرور كل تلك الأعوام، وعندما وقفت أمامها رأيت كل التجاعيد التي احتلت وجهي ولم تترك لي حتى الحق في الاعتراض..

وبعد مرور القليل من الثواني ملأ الضباب المرآة ولم أعد أرَ شيئًا فيها ثم خلال دقيقتين عادت المرآة كما كانت ولكن!

ولكن لم أعد أنا كما كنت؛ عدت شابًّا وكأنني امتلكت آلة الزمان أغمضت عيني وشعرت بأيدٍ تتحس وجهي، رائحة أعلمها تمام العلم وأعشقها حتى النخاع..

سرعان ما فتحت عيني وذهلت مما رأيت.

**حوريهان!!!!!!!!!!!!!!!!!**

**غَزَوتِ فُؤَادِي فَاستَوْطَنتِه.**

*****

# شكر خاص جداً

إلى صديقتي أسماء التي تصغرني بأيام قليلة..

الأولى التي كانت تقرأ كتاباتي بشغف كبير.

إلى صديقة عمري أمنية..

التي على الرغم من أنها هي من تكبرني ولكنني أنا من يمارس في هذه العلاقة دور الأمومة.

إلى ريم القلب..

البريئة برغم كبر عمرها، إلى التي أثق بحكمتها في كثير من الأمور.

*****